حكم الاستنساخ والتلقيح الصناعى في الفقه الإسلامى

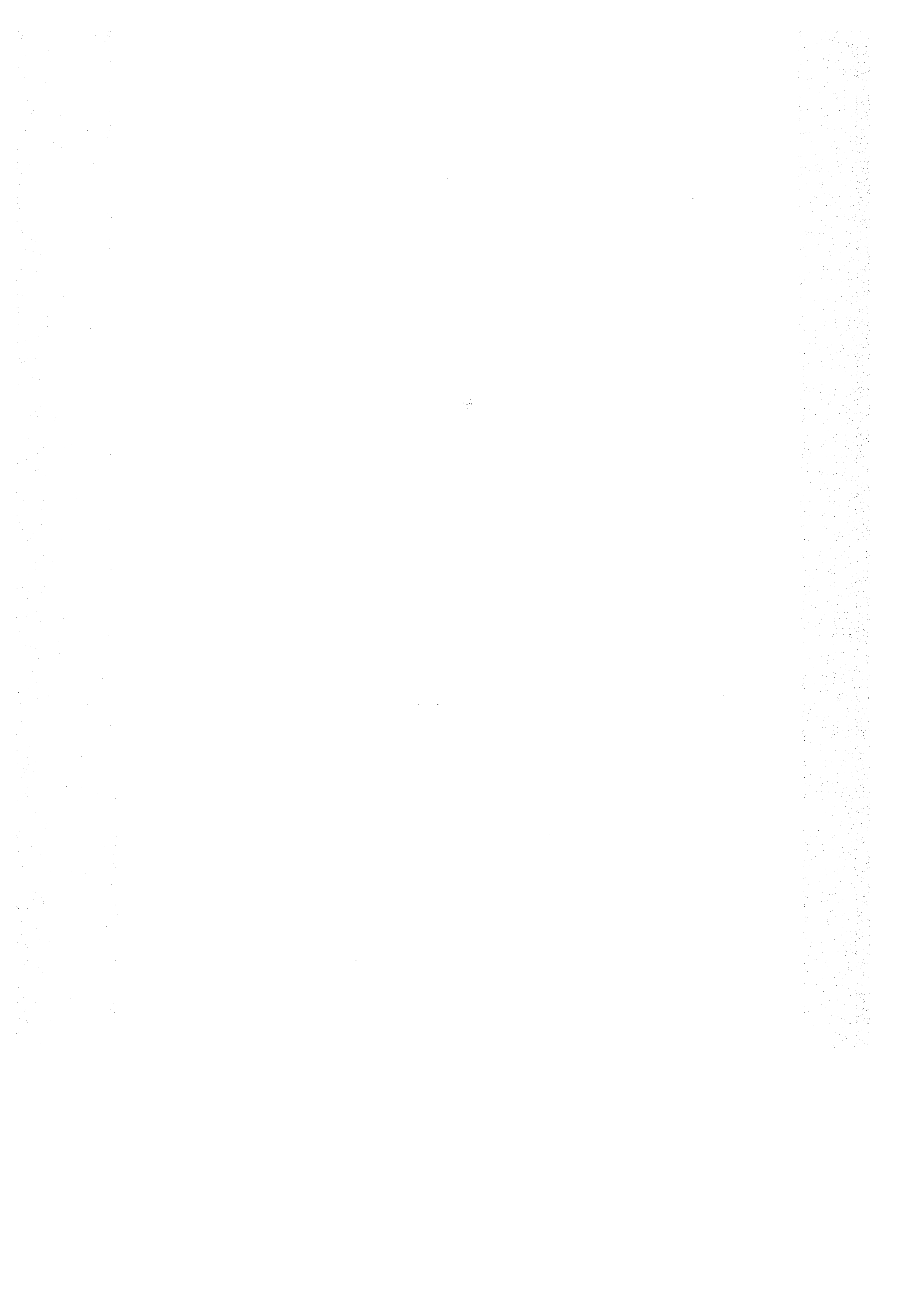
دكتور

جابر على مهران

أستاذ الشريعة الإسلامية

وعميد كلية الحقوق - جامعة أسيوط

والمحامى بالنقض



تقديم

الاستنساخ واقع فرض نفسه على المجتمع الإنسانى ، لأنه نتاج علمى ظهر بالفعل إلى حيز التنفيذ ، وهذه القضية العلمية البحتة تصدم أول ما تصدم بالإنسان صاحب الفكر الذى كان له الأساس فى ظهورها ، والإنسان منه المؤمن الذى يعلم أن الخالق هو الله تصديقا وإيمانا بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون)

وقوله عز وجل : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) .

فالمؤمن لابد وأنه مقر بخالقه ولن يخرج عن هذه الدائرة الإيمانية ، فإذا ظهر مثل هذا النتاج العلمى ، فإن إيمانه لن يتزعزع لعلمه بأن الله تعالى خالق كل شئ وأنه لهذا يستحق العبادة من المخلوقين .

ولقد تحدى الله تعالى البشر بإعلان عام منشور أمام أعينهم على طول الدوام يقول سبحانه جل شأنه (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) .

ونحن قد آمنا بصدق الله تعالى فيما أخبرنا به ، ولهذا فإن ما يظهر من

استكشافات علمية نتيجة لتجارب مادية على ما خلق الله تعالى ، يؤكد عمق إيماننا بربنا وأنه سبحانه هو المعلم للإنسان (علم الإنسان ما لم يعلم)

إن قضية الاستنساخ كأثر للتقدم العلمي فى مجال الإنجاب بلا زواج وهو أن كان له إيجابياته إلا أنه قد يحدث كوارث مرضية جامعة فى هؤلاء المتشابهين وراثيا ، لأنه من المعروف أن التغاير والتشاكل فى الوراثة من أسباب حماية الجنس البشرى وارتقاءه ومن أجل هذا نقول صدق الله حيث قال : (صنع الله الذى أتقن كل شئ) ... فالإتقان الحقيقى هو لله وغير ذلك فهو سراب

المؤلف

١

المبحث الأول

الاستنساخ بين العلم والدين
والفرق بينه وبين التلقيح الصناعى

تمهيـد :

قضية الاستنساخ كانت محور مناقشات مستفيضة والقضية تطرح سؤالا على أصحاب العقائد الدينية ، هل يمكن لهذا العمل العلمى الذى ظهر بالفعل إلى حيز التنفيذ أن يكون خطرا على المعتقدات الدينية ! هل يمكن أن يمس هذا التفوق العلمى خلق الله ؟ حاشا لله ، هل يمكن أن يكون هذا العمل خيراً للإنسانية ؟! وهل هناك حاجة إلى مثل هذا العمل بعد الإنفجار السكانى ؟؟! وهل يمكن إعادة إحياء نماذج أو تكوين عباقرة من الذين عاشوا عبر التاريخ .

كل هذه الأسئلة تفرض نفسها على علماء الهندسة الوراثية ، وعلى علماء الشريعة من أجل أن يجدوا لها إجابة ، وكانت لهم إجابات سنعرفها من خلال هذا البحث[١] .

أمام هذه القضية هل يتفق أصحاب العقائد الدينية ويرفضون عطاء العلم أو يكون منهم من يؤيد عطاء العلم ، ولهذا تبنى بعض

---

[١] منبر الإسلام ، العدد ٣ السنة ٥٦ ، صـ ١٠٠ : ١٠٤ .

العلماء موقف المؤيدين وطرح مجموعة من الأسئلة تعبر عن وجهة النظر المؤيدة لعطاء العلم بصرف النظر عن المحاذير ، وهناك من مثل الجبهة الأخرى التى تبنت الدفاع عن المنهج الشرعى الذى يؤيد شرع الله فى ما أحله وحرمه .

هذه القضية لاقت اهتمام كل المستويات العلمية والدينية وكأنه شبح قد ظهر فجأة ، ولهذا رأينا كثيرا من المجتهدين والكتاب والعلماء يدلون بآرائهم ، فمنهم من عارضه ومنهم من أيده ؛ لذلك كان لابد من إلقاء الضوء على هذا الموضوع .

أولا : من الناحية العلمية لإزالة الغموض والوقوف على حقائق الأمور[١]، حتى إذا سمعنا قبل أن ينتهى القرن بإنتاج نسخ فوتوكوبى إنسانية فيجب إلا نصدم ، لأن الزلزال العلمى الجديد الذى انفجر فى الأرض الاسكتلندية بأكثر من عشرة ريختر إجتماعى ؟؟! يعطى إشارة واضحة على أن استخدام النظريات العلمية وإظهار نتائجها يتوافق مع الإيحاء الإلهى أن الناس سيظنون أنهم قادرون على الأرض ، وعنده يأتى أمر الله تعالى .

وهناك بعض النقاط ننطلق منها للنظر فى هذه المسألة أولها فكرة الخلق ومسألة تكريم الإنسان وقاعدة المصلحة التى نتعرض

---

[١] العربى ، العدد ٤٦٧ ، صـ ١١٦ .

لها عندما نواجه أشياء لم نر نصا فيها فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يرد بها سوابق شرعية يقاس عليها.

وقبل الكلام فى هذه النقاط نذكر حقيقة هذا الاستنساخ مبينيين المنهج العلمى للإستنساخ ثم نعرض للحكم الشرعى لهذا الإستنساخ.

أولا : مفهوم الإستنساخ وحقيقته :

تعريف الإستنساخ لغة :

نسخ الشئ ينسخه نسخا وانتسخه واستنسخه ، والنسخ له عدة معانى منها : أن الإستنساخ هو كتب كتاب من كتاب حرف بحرف ، ومنها قوله تعالى : (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) والنسخ من معانيه إبطال الشئ وإقامة آخر مقامه ، وفى التنزيل : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) ، ومن معانى النسخ التبديل وهو تبديل الشئ من الشئ وهو غيره ، ومنه أيضا نقل الشئ من مكان إلى مكان وهو هو ، والأشياء تناسخت : تداول فيكون بعضها مكان بعض ، ونسخت الشمس الظل وانتسخته أزالته وحلت محله ، والنسخة بالضم أصل المنتسخ منه ، والتناسخ فى الفرائض والميراث[١] .

---

[١] لسان العرب لابن منظور ، (مادة نسخ) ، جـ ٦ ، صـ ٤٤٠٧ .

التعريف الطبى للإستنساخ :

هو إحداث الإنقسام بإستخدام خلايا جسدية بعد معالجتها لمحو ذاكرة الإنقسام ثم نزع نواة البويضة ، وإحداث دمج كهربائى بين نواة الخلية الجسدية والبويضة المنزوعة النواة لينتج بعد ذلك جنين مشابه للأصل[١] ، وهو عملية يقصد منها استحداث كائن حى مشابه للكائن الذى أخذت منه الخلية الحية[٢] .

حقيقة الإستنساخ :

إن الإستنساخ لا يزيد عن كونه عملية تجرى منذ وقت طويل فى كثير من المعامل المتخصصة فى مجالات علم الحياة ، وهو فى معناه العام ليس سوى طريقة من طرق التكاثر البدائية وهو شائع فى بعض الكائنات الأولية وحيدة الخلية مثل البكتريا والخميرة والأميبا .

لكن مع ظهور الكائنات الأكثر رقيا كان لابد من وجود طريقة أكثر رقيا للتكاثر تؤدى إلى حدوث تباين واختلاف فى الأنواع والأشكال ، هذه الطريقة تتمثل فى التزاوج بين ذكر وأنثى ، فلكى

---

[١] منبر الإسلام ، السنة ٥٦ ، العدد ٣ ربيع الأول ، سنة ١٤١٨ هـ ، يوليو ١٩٩٧ ، صـ ١١٩ .

[٢] الأزهر ، الجزء السابع ، السنة السبعون ، رجب ١٤١٨ هـ ، نوفمبر ١٩٩٧ ، صـ ١٦٠٦ .

نحصل على كائن جديد لابد من إتحاد الحيوان المنوى من الذكـــر مع البويضة من الأنثى لإنتاج خلية ملقحة تحمل الصفات الوراثيــة لكل من الذكر والأنثى معا ، ومن هنا يحدث التباين[١] .

والإستنساخ ليس ابتكارا جديدا فهو يوجد من ملاييـــن الســنين ومنذ فجر الحياة والخليقة ويتم حسب المراحل التطورية البيئية التى تشهدها هذه الخلائق للإبقاء على التوازن الطبيعى والبيئى والتنــوع الحيوى الملائم مع كل حقبة زمنية فى سلم التطور الحيوى ، فــهو عملية تكاثر للكائنات الحية لتكون مطابقة وراثيا بإستغلال ما هـــو موجود أصلا فى الحياة الطبيعية ، لهذا استنسخت حيوانات ونباتات بطريقة طبيعية أو إنتقالية بشرية لتحسين صفاتها البشرية بإختيـــار النسل الأصلح والأفضل ، فكل كائن حـــى يتناســل لينقــل فــى نسله نسخا أمينة من المعلومات الوراثية التى شفرت فى سلاســـل (DNA) المزدوجة ووحدات هذه المعلومات هى الجينـــات التـــى بأنوية الخلايا .

والإستنساخ ليس خلقا جديدا لأنه نشـــوء وإرتقـــاء حيـــوى ، فالكائنات الأولية وحيدة الخلية كالأميبا والبكتريا تتكاثر عن طريـــق إنقسام الخلية الأم إلى خلية كاملة ونسخ طبق الأصل وفى نواتـــها

---

[١] العربى ، العدد ٤٦٧ ، جمادى الأولى ١٤١٨ هـــ ـــ أكتوبر ١٩٩٧ بقلم الدكتـــور عبد الفتاح محمد عطا الله .

١٠٠% من المورثات وحيوان الهيددا الكائن الأول ينقسم لقسمين متطابقين كل قسم ينمو لكائن جديد متطابق وراثيا ، وهناك التكاثر الغددى الذى يتم عن طريق تحويل البويضات غير الملقحة إلى أجنة وكائنات كاملة متطابقة للبويضة الأم ، وهذا النوع من التناسب نجده فى قنفذ البحر وبعض أنواع الحشرات والضفادع[١] .

ما حصل لو اختصر بكلمة لا يخرج عن عمل أى فلاح فى الحقل ، يأخذ غصنا من شجرة فيزرعه فتخرج شجرة مثل أمها تسبح الله الخلاق العليم[٢] .

هكذا أظهر لنا أن الاستنساخ ليس إبتكارا جديدا فهو ليس سوى طريقة من طرق التكاثر البدائية وهو شائع فى الحيوانات الأولية وحيدة الخلية موجود منذ ملايين السنين وفجر الحياة .

ثانيا : المنهج الإلهى فى الخلق :

فى مواجهة ما يسعى إليه العلماء من إستنساخ إنسان نعرض صورة مراحل خلق الإنسان كما أخبرنا الله ورسوله منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وقبل أن يكون لدى أحد علم بذلك .

---

[١] مجلة العلم ، العدد ٢٤٨ ، مايو ١٩٩٧ ، ترجمة وإعداد د/ أحمد عوف ، صـ ٣١ .

[٢] مجلة العربى ، العدد ٢٦٣ ، المحرم ١٤١٨ هـ - يونيه ١٩٩٧ بقلم د. خالص جلبى، صـ ٧٢ .

أ- صور خلق الله للإنسان :

١ ــ خلق الله آدم من تراب من غير أب ولا أم :

(يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لبنين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا)[١] .

٢ ــ خلق الله حواء من ضلع آدم من غير أم :

(خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ...... فأنى تصرفون)[٢] .

٣ ــ خلق الله عيسى بن مريم من أم ومن غير أب :

(إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم)[٣] .

٤ ــ خلق الله الناس جميعا من أب وأم :

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[٤] .

---

[١] الحج الآية ٥ .

[٢] الزمر الآية ٦ .

[٣] آل عمران الآية ٤٥ .

[٤] الحجرات الآية ١٣ .

٢ـ مراحل خلق الله للإنسان :

يقول الله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثـم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا علقة فخلقنا العلقة مضغـة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقـا آخـر فتبارك الله أحسن الخالقين)[١] .

يخبرنا الله تعالى عن إبتداء خلق الإنسان ، وأنه من سلالة مـن طين ، يقول قتادة : "استل الله آدم من طين ، لأن آدم عليه السلام خلق من طين لاذب وهو الصلصال من الحمأ المسنون (ثم خلقنـا النطفة علقة) ، أي ثم صيرنا النطفة (وهى الماء الدافق الذى يخرج من صلب الرجل وهو ظهره وترائب المرأة وهى عظام صدرها ما بين الترقوة إلى السرة) فصارت علقة حمراء مستطيلة وهـى دم (فخلقنا العلقة مضغة) وهى البضعة من اللحم لا شـكل فيـها ولا تخطيط ، (فخلقنا المضغة عظاما) ، يعنى سـبحانه شـكلناها ذات رأس ويدين وعظاما وعصبا ، (فكسونا العظام لحمـا) أى جعلنـا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه ، (ثم أنشأناه خلقا آخر) أى ثـم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقا آخر ذا سمع وبصـر وإدراك وإضطراب"[٢] .

---

[١] المؤمنون الآية ١٢ : ١٤ .

[٢] مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد على الصابونجى ، م الثانى .

ومن منطوق الآيات تتجلى المراحل النمطية لتكوين الجنين البشرى المتكون على نمط إرادة الله ولا تبديل لخلقه ، هذه المراحل هى :

١ ــ مرحلة النطفة :

ويقصد بها ثلاث معانى :

- النطفة المذكرة (وهى الحيوانات المنوية الموجودة فى المنى) .
- النطفة المؤنثة (وهى البويضة التى يفرزها المبيض) .
- النطفة الأمشج (وهى النطفة المختلطة من الحيوان المنوى والبويضة عندما يتم التلقيح)[١] ومدتها أربعين يوما لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه عبد الله ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : "إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ......"[٢] .

وأوضح العلم الحديث أن الحيوانات المنوية نوعان :

---

[١] الإعجاز العلمى فى الإسلام ــ القرآن الكريم ، محمد كامل عبد الصمد ، صــ ١٩٧ ، طبعة الدار المصرية اللبنانية .

[٢] كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان كتاب القدر حديث رقــم ١٦٩٥ ، صــ ٢٠٧ .

- نوع يحمل كروموسوم الذكورة (Y) .
- نوع يحمل كروموسوم الأنوثة (X) .

فإذا أراد الله سبحانه أن يلتقى الحيوان المنوى الحامل للكروموسوم Y بالبويضة التى تحمل كروموسوم X فإن المولود سيكون ولد ، أما إذا كان الحيوان المنوى الذى يحمل كروموسوم X والتقى بالبويضة التى تحمل كروموسوم X فإن المولود سيكون أنثى بإذن الله .

بعد عملية التلقيح وإصطفاف الكروموسومات مع بعضها البعض فى وسط البويضة الملقحة وتكوين خلية جديدة مخصبة تحوى على العدد الكامل من الكروموسومات وهى ٤٦ كروموسوما من ضمنها الكروموسومات التى تحدد جنس الإنسان ذكرا أو أنثى

بعد هذه العملية تبدأ رحلة الإنقسامات الجينية وتكوين أجزاء الجنين بكامله ، وعملية الإنقسام هذه تحدث جميعا داخل جدران البويضة ولا يزداد حجمها أثناءها حيث يتم إقتسام أجزاء السيتوبلازم بالتساوى مع إنقسام كل الكروموسومات (٤٦) التى تعطى كروموسومات شبيهة لها تماما طبق الأصل ، كما يتم إنتاج الصبون من الفيلم[١] .

---

(١) الإعجاز العلمى فى الإسلام ـــ القرآن الكريم ، صـــ ١٩٧ لمحمد كامل عبد الصمد .

٢ ـ العلقـــــــة :

قال تعالى : (ثم خلقنا النطفة علقة)[١] .

جاء فى التفسير : أنه إذا استقرت النطفة فى رحم المرأة مكثت أربعين يوما ثم تنقلب إلى علقة حمراء بـــإذن الله فيمكــث كذلــك أربعين يوما[٢] .

وقد قرر العلم الحديث أن النطفة المخصبة التى تحولــت إلـــى علقة تظل عالقة على الجدار الداخلى للرحم فى بدء تكوين الجنيــن محدثة نزيفا من الدم ، ثم تتجسم العلقة فى نهايـــة تلــك المرحلـــة بصورة ذلك الدم المتجلط ، من هنا تتجلى سبب تسمية القرآن لــهذا الطور بالعلقة وذلك بسبب شدة تعلقه بالرحم وعند إقتراب نهايـــــة مرحلة العلقة تكون قد تكونت خلايا دموية بعد اليوم الثامن عشـــر من حياة الجنين تمهيدا لأن تتحول هذه العلقة إلى كتلة غير منتظمة الشكل أسماها الله مضغة[٣] .

٣ ـ المضغــــــة :

قال تعالى : (فخلقنا العلقة مضغة) .

---

[١] المؤمنون ١٤ .

[٢] مختصر تفسير ابن كثير اختصار وتحقيق محمد على الصابونى ، م الثانى ، صـــ ٥٣٠ .

[٣] الإعجاز العلمى صـــ ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

بعد أن تتحول النطفة المخصبة داخل الرحم إلى علقة حمـــراء تمكث أربعين يوما فتصير قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط، ثم يشرع فى التخطيط والتشكيل فيصور منها الله عز وجل رأســـا ويدين وصدر وبطن وسائر الأعضاء ، فتارة تسقطها المرأة قبـــل التشكيل وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط .

يقول تعالى : (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنـــا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغـــة مخلقـــة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم)[١] .

وعلى ذلك تكون مدة هذه المرحلة أربعين يوما ثم ينفـــخ فيـــه الروح .

٤ ــ تخليق العظام :

يقول سبحانه وتعالى : (فكسونا العظام لحما ثم أنشــأناه خلقــا آخر)[٢] .

وأخيرا تأتى مرحلة تحول المضغة إلى عظام حيث يظهر فـــى

---

[١] الحج الآية ٥ ، مختصر تفسير ابن كثير ، م الثانى ، صـــ ٥٣٠ ، اختصـــار وتحقيـــق محمد على لاصابونى .

[٢] المومنون ١٤ .

هذه المرحلة الجهاز المتكامل .

ب ـ المراحل الجنينة لعملية تخلق الإنسان :

إذا تطرقنا إلى المراحل الجنينية لعملية تخلق الإنسان منذ اليوم الأول ما بعد التلقيح نجد الآتى[١] :

١ ــ اليــــــوم الأول :

وبالأحرى بعد مرور ٣٠ ساعة من التلقيح يبدأ الإنقســام الأول لخلية جنين الإنسان وتنقسم هذه الخلية الملقحة إلى خليتين وفى هذه المرحلة إذا شاء الله سبحانه لهذا الإنسان أن يكون توءما متشــابها يكون الإنقسام متكاملا ، وكل شطر من هذه الخلية يكــون جنينــا وإنسانا متكاملا يشبه تماما أخاه المجاور له .

٢ ــ اليوم الســــادس :

يتهيأ الجنين للمرحلة المهمة اللاحقة وهى مرحلــة الإلتصــاق بالرحم .

٣ ــ نهاية الأسبوع الأول :

لا يزال الجنين بمرحلة الخلايا المتشابهة وبداية مرحلة العلقة .

٤ ــ الأسبوع الثانــــى :

تبدأ مرحلة عملية العلقة فى اليوم التاسع بالضبط وتنتهى تقريبا

---

[١] الإعجاز العلمى فى الإسلام القرآن الكريم لمحمد كامل عبد الصمد ، صـ ١٩٧ .

فى اليوم الحادى عشر وبداية تكوين الطبقات الجرثومية الخارجية (الابيديرمس) والداخلية (الأندرويرمس) .

٥ ــ الأسبوع الثالث :

يتم بناء الجنين فى خلال هذه المرحلة ، ويكون ذلك تكوين طبقة (الميزوديرم) الوسطية . وهنا تبدأ مرحلة المضغة غير المخلقة حيث تحدث بعد ذلك تطورات هامة فى أنحاء جسم الجنين الذى يتحول من شكل كروى متشابهة الخلايا إلى جسم متطاول حيث يمكن تمييز مقدمة للجسم الذى يمثل الرأس فى المستقبل وإلى مؤخرة الجسم .

٦ ــ الأسبوع الرابع :

يظهر القلب بشكل أنبوب بسيط ثم تظهر الأفئدة الأخرى بالتتابع : الكبد والطحال والكليتان والبنكرياس وغيرها ، ثم يظهر أنبوب من شكل آخر غير مجوف وصلد ليكون مستقبلا أصل أحد الأجهزة وهو أصل العمود الفقرى ثم يظهر أعضاء الجنين كاليدين والرجلين ، وهنا تتكشف إحدى المعجزات الكبرى التى يصفها القرآن الكريم فى تتابع مراحل الجنين[١] .

---

[١] الإعجاز العلمى فى الإسلام القرآن الكريم ، صـ ٢٠٤ ، ٢٠٥ لمحمد كامل عبد الصمد ، الناشر الدار المصرية اللبنانية .

أنواع الخلايا فى جسم الإنسان :

الجسم البشرى يحتوى على نوعين من الخلايا :

- خلايا جسدية Somatic Cells وهى خلايا متخصصة توجد فى كل أعضاء الجسم ما عدا الأعضاء الخاصة بالتكاثر .
- خلايا تناسلية أو جنسية Germ Cells وتحتوى كل منها على عدد من الكروموسومات سوف نرمز لها بالرمز (N) والتى ينتج منها الحيوان المنوى فى الذكر والبويضة فى الأنثى وعند اتحادهما تنتج خلية تحتوى على (N + N) أى 2N .

خلية الإنسان تحتوى على 2N (٤٦ كروموسوم) حيث N تساوى ٢٣ كروموسوم Chromosomes والتى تحمل فى طياتها ما يسمى بالجينات الوراثية ، وهى المسئولة عن نقل الصفات الوراثية من إنسان إلى آخر .

والخلايا الجسدية تنقسم بالتضاعف حيث تتضاعف المادة الوراثية داخل الخلايا (٢ × ٤٦) ثم يحدث تخصر فى جدار الخلية لتنقسم من جديد إلى خليتين كل منها تحتوى على ٤٦ كروموسوما ، وهذا يحدث فى كل الخلايا الجسدية ولكن فى الخلايا التناسلية Germ Cells نجد أن كلا من الحيوان المنوى والبويضة يحتوى كل منهما على نصف عدد الكروموسومات الموجودة فى الخلية الجسدية ، لذلك فعند التقاء الذكر بالأنثى فإن الخلايا الناتجة عن

الإنقسام تحتوى على ٤٦ من الكروموسومات (أى العدد الكامل من المادة الوراثية) وتسمى الزيجوت Zegote الذى له القـدرة علـى الإنقسام ليعطى جنينا يحتوى على خلايا جينينـة غـير متمـيزة Undiffernated Embryonic Cells التى تتطور وتتميز إلـى أن تتحـول فـى النهايـة إلـى خلايـا ناضجـة كاملـة التمـيز Adultsifferentiated وتقوم بوظيفة محددة وهـذا النـوع مـن الخلايا يوجد فى الأعضاء المختلفة للجسم مثـل الكبـد والكليـة والجلد ...الخ .

من هنا يمكننا أن نفهم معنى الاستنساخ وهو أنه يتكون وينتـج من خلية واحدة Somaticcell مأخوذة من عضـو مـن الجسـم وتحتوى على العدد الكامل للكروموسومات (المادة الوراثية) وسواء كانت هذه الخلية من جنين أو من شـخص نـاضج فإنـه يمكننـا الحصول على ملايين من هذه الخلية التى يمكن أن تسـتمر فـى الإنقسام والنمو مؤدية إلى نسخة طبق الأصل Carbencopy مـن الكائن الذى أخذت منه الخلية الأم وتحتوى علـى كـل الصفـات الوراثية للكائن المعطى من لون الشعر والعين والجلد ...الخ[1].

---

[1] مجلة العربى ، العدد ٤٦٧ ، جمادى الأول ١٤١٨ هـ ـــ اكتوبـر ١٩٩٧ ، صـــ ١١٦ بقلم الدكتور / عبد الفتاح محمد عطا الله أستاذ المناعة والوراثة بجامعة جـورج واشنطن الامريكية ومدير مركز أبحاث التقنيات الحيوية بدمياط الجديدة ـــ مصر .

الخليـة الحيـة :

تتكون الخلية الحية فى النباتات والحيوانات مـن السـتيوبلازم والنواة وكل نواة بها DNA الذى تكمن فيه المعلومات الوراثيـة ، وكل نوع من الكائنات الحية يحمل عددا ثابتا من الكروموسـومات التى تحمل الجينات حسب نوع الخلية والكائن الحى نفسـه و ٩٠% من DNA يوجد فى نواة الخلية ، و ١٠% فى السيتوبلازم حولـها ، ولا سيما فى الميتوكوندريات أو البلاستيدات الخضراء النباتية .

ولكل خلية حية بـ DNA عدد ثـابت مـن الكروموسـومات ونصف هذا العدد يوجد فى الخلية الجنسية بالبويضة أو الحيـوان المنوى أو حبة اللقاح فى الزهور ، لهذا لا تستطيع هـذه الخليـة الإنقسام لكن عندما تمتزج بويضة مع حيوان منوى تتحول لخليـة كاملة (الزيجوت) الذى ينقسم لعدة خلايا متطابقة قبـل المرحلـة الجنينية وكل خلية تكون كاملة العدد من الكروموسومات ويطلـق عليها خلية جسمية (جسدية) . فالخلية الجسدية للإنسـان بـها ٤٦ كروموسوما ، ٢٣ بالخلية الجنسية ، و الفأر به ٤٢ كروموسـوما بالخلية الجسدية (الجسمية) ، ٢١ بالخلية الجنسية ، والقمح بـه ٤٢ كروموسوما ، ٢١ بالخلية الجنسية ، والأرز به ٣٤ كروموسوما ، والطماطم ٢٤ كروموسوما ، وكذا بقية الحيوانات والنباتات[١] .

---

[١] العلم مجلة شهرية تصدرها أكاديمية البحث العلمى ودار التحرير للطبع والنشر،مطابع=

يقول البروفيسور الكندى (كيث مور) رئيس قسم التشريح والاجنة بجامعة تورنتو بكندا ورئيس الاتحاد الكندى الأمريكى لعلماء الأجنة : "عندما استعرضت كل أطوار الجنين فى بطن أمه والتى التقطت بأحدث الاجهزة العلمية إذا هى تنطبق تماما على كل ما ذكره القرآن من مراحل تكوين العظام واللحم إلى غير ذلك من المراحل" .

ولما قيل له : هل كان من الممكن أن يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه التفصيلات عن الجنين ... قال : مستحيل ... إن العالم كله فى ذلك الوقت لم يكن يعرف أن الجنين يخلق أطوارا بل أن العلم لم يستطع حتى الآن تسمية أطوار الجنين بل أعطاها أرقاما معقدة فى حين جاءت فى القرآن بأسماء محددة وبسيطة وغاية فى الدقة ... ويتضح لى أن هذه الأدلة حتما جاءت لمحمد من عند الله[١] .

عرض البيان الإلهى موضوع خلق الجنين الآدمى وتكوينه وتحدث الرسول صلوات الله عليه عن خلق الله للجنين فى بضعة أحاديث شريفة ، جاء العلم التجريبى الحديث فأظهر إعجاز القرآن

=الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، العدد ٢٤٨ ، مايو ١٩٩٧.

[١] الإعجاز العلمى فى الإسلام ، القرآن الكريم لمحمد عبد الصمد ، صـ ٢١٣ .

وصدق نبوة الرسول على يد علماء ليسوا من أهل الإسلام ، ومـــا زالت الكشوف تترى وشمس الفكر تتهادى أشـــعتها بـــالقليل مـــن الأسرار الحقيقية للإنسان جسدا وروحا[١] ، وصدق الله حيث قال : (وفى أنفسم أفلا تبصرون) .

ثالثا : مصطلح الخلق ومعانيه :

ربما كان من المناسب استكمالا لهذا المدخل الـــذى بـــدا لـــى مطلوبا للدخول فى الموضوع أن كلمة (الخلق) تستعمل فى اللغـــة العربية استعمالا لغويا عام فتسند عندئذ إلـــى الله تعـــالى . يقـــول تعالى: (وهو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعـــا) ، أى أوجـــده وأبدعه على غير مثال سبق بعد أن لم يكن ، ويقول سبحانه : (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) .

وخلق الله تعالى وتقدس الخالق والخلاق وهو مـــن أســـماء الله الحسنى ، والخلاق الذى أوجد الشئ على مثال لم يسبق إليه ، وكل شئ خلقه الله فهو مبتدعه على غير مثال سبق إليه ، والخلق فـــى كلام العرب على وجهين :

أحدهما : الإنشاء على مثال أبدعه ،

---

[١] أطفال الأنابيب نظرة اسلامية ، د. أحمد عبد الرحمن عيسى ، صـــ ١٢ ، طبعـة مطابع الأهرام .

والآخــــر : التقدير ورجل خليق ، أى تام الخلق معتدل .

والأنثى خليقة ومختلقة ، والخليقة الطبيعية التـــى يخلــق بـــها الإنسان[١] .

هل الإستنساخ خلق :

الاستنساخ هو عملية لا جنسية لتكثير كائنات متطابقة وراثيـــا بإستغلال ما هو موجود أصلا لأنه لا يخلق كائنات جديدة من العدم لكنه ينتج مستنسخات الصفات الوراثية[٢] .والاستنساخ ليس خلقـــا كذلك لأنه يعتمد على خلية حية من صنع الله .

ويقول الشيخ محمد متولى الشعراوى : "إذا أردت أن تصنـــع بشرا فالمفروض أن تأتى بالمادة الحية ، تصنعــــها أولا ، ولكـــن حينما تأخذ ما خلق الله وتيسر عملية الخلق بما كشف الله لك مـــن علم لا يكون هذا أبدا فيه صناعة ... أنت أخذت مـــا خلــق الله ، وأوجدت له الطريق ليتم ما أراد الله فيما خلق الله للإنسان"[٣] .

---

[١] معجم ألفاظ القرآن ، جـــ ١ ، صـــ ٣٧٧ ، لسان العرب لابن منظور ، جــــ ٢ ، صـــ ١٢٤٣ : ١٢٤٨ .

[٢] مجلة العلم ، العدد ٢٤٨ ، مايو ١٩٩٧ ، ترجمة وإعداد د. أحمد محمد عوف ، صـــــ ٣٣ .

[٣] الشيخ محمد متولى الشعراوى وقضايا العصر ، حوار أحمد زين ، جـــ ١ ، صــــ ١٧ ، مجلة الأزهر ، جـــ السابع السنة السبعون ، نوفمبر ١٩٩٧ ، صـــ ١٠٧ .

والإستنساخ ليس خلقا وإيجادا لشئ لـــم يكـــن موجـــودا ، لأن الاستنساخ يعتمد على :

أ ــ الخلية الجسدية الحية .

ب ــ النواة التى بداخلها بما لها من خصائص .

جـ ــ البويضة التى تؤخذ من الأنثى .

د ــ الحث الكهربى .

هـ ــ رحم الأنثى التى توضع فيه الكتلة الخلوية .

وكل ذلك من صنع الله وخلقة وإنشآئه وحده لا شريك له فـــى ذلك بعدها ينتظر العلماء ما يحدث داخل الرحم خلقا من بعد خلـــق دون أن يكون لهم تأثير فيه ، وقد لا يتم الخلق وتفشـــل التجـــرب ويحبط الله أعمالهم وقد يأتى الناتج ممسوخا مشوها على غير مــــا يتوقعون ، وقد جاءت النعجة (دوللى) بعد ثلاثمائة تجربة فاشلة ... فلا يمكن أن يقال أن العلماء بالاستنساخ قد خلقوا شـــيئا ، وإنمـــا ركبوا مواد مصنوعة لله بطريقة خاصة استعملوا فيها مخلوقات الله فى كل خطوة من خطواتها ، وقد تأتى النتـــائج لطريقتـــهم غـــير مضمونة[1] .

والتحدى الذى تحدى الله به عباده قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، (لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذبـــاب

---

[1] الأخبار ١٩٩٧/٣/٣١ ، صـ ١٤ .

شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز)[١] .

فالذى يميز خلق الله عز وجل هو ما اصطلح عليه علماء اللغة على إطلاق صفة الخلق بالنسبة لله عز وجل بتسميتها إبداع وهو الخلق من العدم .

يقول تعالى : (قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار)[٢] .

وقد أكدت السنة المطهرة هذا المعنى بنصوص عدة منها :

- ما رواه أبو هريرة صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا حبة ، وليخلقوا ذرة)[٣] ،رواه البخارى ومسلم .
- وعن عائشة رضى الله عنها قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله"[٤] .

---

[١] الحج ، ٧٣ ، ٧٤ .

[٢] الرعد ١٦ .

[٣] اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان وضعه محمد فؤاد عبد الرضى ، صـ ١٣٧٠ .

[٤] اللؤلؤ والمرجان،ص ١٣٦٥ ،طبعةدار إحياء الكتب العربية،عيسى البابى الحلبى وشركاه

لعلنا الآن بعد هذا المدخل نستطيع أن ننظر فيما أعلـــن عنــه الباحثون بمعهد (روزالين) قرب مدينـــة أدنــبرة باســكتلندا عــن استنساخ النعجة (دوللى) ٠

الدراسة العلمية لإستنساخ الإنسان والمخاطر الناتجة عن ذلك

أولا : بداية التجارب :

كانت البداية قوية فى استخدام أسلوب الاستنساخ الخلوى فى الزراعة لتحسين إنتاجية المحاصيل والحصول على سلاسلات جديدة حتى انتشر هذا الأسلوب وصار فرعا قائما بذاته ثم انتقلت التجربة إلى الحيوان لمحاولة تحسين السلالات الحيوانية ، والآن هناك حوالى عشرة آلاف جنين مجمد فى سائل (النيتروجين) بالولايات المتحدة وكثير من دول العالم[١] .

والاستنساخ فى مجال النبات موجود منذ سنوات عديدة بإقتطاع جزء من الشجرة وغرسه فى الأرض فيعطى شجرة مماثلة ، والجديد هو حدوث ذلك فى الحيوان ، وفى الحيوانات الثديية وهى أقرب ما تكون إلى الإنسان والذين يعملون فى البحث العلمى يقولون : إن الاستنساخ فى ميدان البشر ممكن من الناحية النظرية ، وعمليا قد يتحقق خلال خمس سنوات إلى عشر[٢] .

---

[١] مجلة الأزهر ، نوفمبر ١٩٩٧ ، رجب ١٤١٨ هـ ، الجزء السابع ، السنة السبعون ، صـ ١٠٦٧ .

[٢] مجلة منبر الإسلام ، السنة ٥٦ ، العدد ٣ ، ربيع الأول ١٤١٨ هـ ـ يوليو ١٩٩٧ ، صـ ١٠٥ ، ١٠٦ بقلم د/ حسن الشافعى أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الأزهر

وفى البداية كان المقصود بالاستنساخ تطوير أعضاء فى جسم الإنسان يعد إنتشار الفشل الكلوى وغيره من الأمراض ثم بعد ذلك تطور إلى عملية تخليق كاملة للكائن ، حيث يقال إن هناك محاولات فى الصين لإستنساخ الخنازير وأنواع من الدببة التى تسمى الباندا المعرضة للإنقراض بغرض المحافظة على نوعيتها وحمايتها من الإنقراض ، وفى مدينة ميونيخ الألمانية يحاول بعض العلماء استنساخ حيوانات زراعية للإستخدام فى مجال الزراعة ، وفى ولاية سانتياجو بكاليفورنيا استطاع أحد الباحثين زرع أنسجة عصبية من جنين طائر السمان فى مخ دجاجة فكانت الدجاجة المستنسخة تحرك بذلك أثر الخلايا على السلوك وهذا أمر طيب يمكن أن يسهم بذلك فى علاج الإصابات فى المخ التى تصيب الإنسان[١] .

ويقول أستاذ المناعة والوراثة بجامعة جورج واشنطن أن هناك محاولات كثيرة لإستنساخ خلايا بشرية ، ففى عام ١٩٩٣ قام علماء الأجنة بجامعة جورج واشنطن باستنساخ أجنة بشرية غير مكتملة ثم قاموا بتقسيم هذه الخلايا إلى أجزاء زرعت فى المعمل لتنمو من جديد حتى وصلت على الحجم الذى يمكن وضعه فى

---

[١] المرجع السابق ، صـ ١١٠ ، بقلم الدكتور / السيد محمد الشاهد الأستاذ بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر .

رحم المرأة لكن ذلك لم يتم ، لكن سبق هذه المحاولـــة محـــاولات عديدة فى الحيوانات ففى سنة ١٩٦٣ قام العـــالم جـــون جـــارون باستنساخ ضفادع إلى أن راودت أفكار العلماء استنساخ الإنسان[١].

الهندسة الإنجابية :

بدأت الهندسة الإنجابية بالتهجين لتحسين سلالة الكائنات الحيـــة واختيار الأصلح والأحسن وكان يتم عن طريق التزاوج الجنســـى بالتلقيح الصناعى لسلالات ممتازة من نفس النوع لتحسين الوراثيـــة للمواليد ، ثم ظهر تكنيك (أطفال الأنابيب) وكان يتم بدمج بويضـــة أنثى بحيوان منوى الذكر فى المعمل ثم وضع البيوضة فى ســـائل مغذ عدة أيام حتى تنقسم لكرة خلوية توضع فى رحم الأم لتصبـــح جنينا يولد بعد تسعة أشهر ، ويحاول العلماء اختصار فترة حمـــل الأمهات بإختراع الرحم الصناعى وسيقوم بمهمة الحمـــل الكـــامل خارج الرحم الطبيعى .

وظهرت الهندسة الإنجابية بنظرية الحمل اللاجنسى وهو مـــا يعرف بالثورة اللاجنسية عن طريق تلقيح بويضة منزوعة النـــواة لحيوان ما وتلقيحها بخلية جنينية كاملة أو خلية جسمية بـــها طقـــم كامل من الكروموسومات من نفس نوع الحيوان لإنتـــاج بويضـــة

---

[١] مجلة العربى ، العدد ٤٦٧ ، جمادى الأولى ١٤١٨هـــ ـــ اكتوبـــر ١٩٩٧ بقلـــم د. عبد الفتاح محمد عطا الله أستاذ المناعة بجامعة جورج واشنطن ٣٢٠ .

ملقحة تنقسم لخلايا توضع فى رحم أم بديلة ثالثة كما اتبع فى استنساخ النعجة دوللى ، ويكون الجنين المستنسخ نسخة طبق الأصل للحيوان الذى أخذت منه الخلية الكاملة .

هذا ، والاستنساخ اللاجنسى كشف عن طريقة جديدة فى الحياة وقانون طبيعى فى التكاثر ؛ لأن الخلية الحية الكاملة (الجسدية) عملت عمل الخلية الجنسية وكان محصلة هذه التجربة نشوءا حيا وتكاثرا حيويا جديدا فى الثدييات وهذا لم يكن موجودا من قبل (دوللى) فى علم الأجنة المتطابقة ، حيث تنزع خلية جسمية كاملة وتلقح فى بويضة منزوعة (DNA) من نفس نوع الحيوان ليتم الحمل العذرى ، وقد تكون الخلية الكاملة (DNA) من الأنثى نفسها ، لهذا يقول العلماء وداعا للذكور فى عالم الحريم ، وعندما يتم دمج هذه الخلية بالبويضة المخلاة يسلط تيار كهربائى ضعيف لإحداث شرارة كما يفعل الحيوان المنوى بالبويضة العادية فى الإخصاب الطبيعى ليندمج مع البويضة لتليقحها[١] .

الفكرة العلمية لتجارب الاستنساخ :

والفكرة العلمية لتجارب الاستنساخ تعتمد كما قال الدكتور محمد الصاوى أستاذ علم الوراثة والجينات بجامعة عين شمس

---

(١) مجلة العلم ، العدد ٢٤٨ ، مايو ١٩٩٧ ، صـ ٣٢ بقلم وترجمة وإعداد د. أحمد محمد عوف .

على أخذ خلية جسدية تحتوى علـــى الحمــض النــووى وإدخـــال الحمض داخل بويضة ثم تفريغها من الحمض الموجود بـــــها ثـــم وضعها فى حضانات خاصة حتى يتم الانقسام مثل أى خليـــــة ثـــم تؤخذ وتزرع داخل أى رحم .

ويؤكد أستاذ علم الوراثة والجينات أن عملية الاستنســـاخ تبــدأ بمادة حية هى أساس الكون كله فيتم أخذ البوتوبلازم ليوضع فنحــن نحتاج خليتين وهذه العملية كانت موجودة فى التلقيـــح الصنـــاعى وأطفال الأنابيب ، والجديد أن الخلية لا تؤخذ من الحيوان وإنما من أى جزء نشيط من الجسم فإذا أردنا ولدا نأخذ خلية رجل وإذا أردنا أنثى نأخذ خلية سيدة[١] .

والنسخ الإنسانية هذه تتم صناعتها عن طريـــق أخــذ المـــادة الوراثية وزرع الخلية فى رحم امرأة ليخرج إنسان يشـــبه نســـخة مطابقة للنسخة الأصلية ، وثورية هذه الطريقة (التكـــاثر العـــذرى الجسدى) أنه يختلف عن التكاثر أو الاستنساخ الجنسى الذى يتم فى اجتماع أى أمرأة مخصبة مع رجل مخصب ، هذا وكـــان جـــيرى هول له الأسبقية على عادة الأمريكيين عندما أعلن اختراق الجـــرم (التايو) الإنسانى فقام بالاستنساخ الإنسانى فيه ، ولكن مشروعه تـــم

---

[١] الأخبار ١٩٩٧/٣/٣١ ، صـــ ١٤ بقلم د. محمد الصاوى أســـتاذ علـــم الجينـــات والوراثة بجامعة عين شمس .

إيقافه ليس تقنيا بل لاعتبارات قانونية وأخلاقية ، والجدير بـــالذكر أن الاستنساخ فى الضفادع تم بنجاح كامل ، ومشروع الاستنســاخ على الضفادع بعيد العهد وقد نجح فيه العلمـــاء بالشـــكلين ســـواء الجسدى أو الجنسى .

وكانت التوقعات أنه سيمر وقت طوير قبل النجاح فى المشروع الإنسانى ، ولذا فإن الإنجاز الجديد الذى حققه الأســـكتلندى (إيـــام ديلموت) كان متوقعا ومنتظرا وتحصيل حاصل[١] .

ثانيا : **كيف تم استنساخ (دوللى)** ؟

عكف فريق روزلين باسكتلندا على دراسة الخليـــة حيـــث أن الدكتور (ديلموت) الباحث بالمعهد ذكر أن ما جعله يقدم على هـــذه التجربة هو نجاح تجارب النقل النووى من خلية ناضجة من خلايـــا الضفدعة والتى استطاع العلماء أن يجعلوها تصل لمرحلـــــة أبـــو ذنيبة[٢] ، ولكنه مات قبل أن يصل إلى ضفدعة ناضجـــة ، وهـــذه التجربة فرضت سؤالا وهو : هل فعلا يمكن إعادة برمجة الخليـــة الناضجة لتعمل كخلية جنينية غير متميزة ؟.

---

[١] مجلة العربى ، العدد ٤٦٣ ، المحرم ١٤١٨هـــ يونيه ١٩٩٧ بقلم الدكتور خـــالص حلبى ، صـــ ٧٢ .

[٢] أبو ذنيبة هو الطور اليرقى للضفدعة يشبه السمكة عديمة الأرجل .

أثبت (ديلموت) وفريقه هذه الاحتمالية حيث تم استخدام خليـــة ناضجة من ضرع نعجة حبلى من سلالة فنلندية بيضاء اللون ولكى يتمكن من إعادة برمجة المادة الوراثية لهذه الخلية كان لابد من أن يجعلها تخرج من أطوار النمو إلى طور الثبات والراحـــة ، هـذه العملية تؤدى إلى حدوث تغيرات فى تراكيب نواة الخليـــة وذلـك يسهل عملية إعادة برمجة الجينات .

ولكى يفعل (ديلموت) ذلك فقد قام بتجويع الخلايا بأن زرعـــها فى المعمل فى وسط غذائى يحتوى على نسب قليلة مـــن المـواد اللازمة لنموها لمدة خمسة أيام ، وبالتالى خرجت الخلية من طـور النمو إلى طور الراحة بعد ذلك بدأت عملية النقل النووى حيث تـم الحصول على بويضة من سلالة أخرى من النعـــاج الأســكتلندية سوداء الوجه وفرغوها من النواة دون المادة الخلويـــة ، وعندئـذ وضعوا البويضة منزوعة النواة مع نواة الخلية التى تم تجويعها أى الخلية المعطية ثم بعد ذلك وضعوا هاتين الخليتيـن تحـت تـأثير نبضات كهربية ضعيفة جعلت البويضة المفرغة تستقبل نواة الخلية المعطية والتى تحتوى على الشفرة الوراثية الكاملة للنعجة الفنلنديـة ، وكذلك أدت إلى حدوث تغيرات كيميائية أدت إلى بداية انقســـام الخلية ، ومع استمرار عمليات الانقسام والنمو تطورت الخلية إلــى جنين تم وضعه فى رحم نعجم اسكتلندية أخرى ســوداء الوجــه ، وبعد ١٥٠ يوما هى فترة الحمل انتهت بمولود (دوللى) وهى نسخة

طبق الأصل من النعجة الأم التى أخذ من ضرعها الخلية المعطية.

وفى ختام حديثه يطرح العالم المبين كيف تم استنساخ دوللى سؤالا ومضمونه هل ستعيش (دوللى) عمرا يماثل عمر النعجة الأم؟ حيث أن هذه النعجة (دوللى) قد نتجت من خلية عمرها ست سنوات ، وهل معنى ذلك أن السنوات الست ستحسب من عمرها ، عندها قد تعانى (دوللى) من شيخوخة مبكرة ؟ وهل من الممكن أن تصاب دوللى فى وقت لاحق ببعض الأمراض الوراثية ؟ فعملية النقل النووى قد يصحبها تلف فى المادة الوراثية للنواة المنقولة[١] .

فى أعقاب دوللى :

القفزة الجديدة التى تم اختراقها فى معهد روزالين فى منطقة أدنبرة فى أسكتلندا بإنتاج النعجة (دوللى Dolly) دون أب واحد من ثلاث أمهات ، مادة وراثية من الأم دون خلية ، وخلية منزوعة المادة الوراثية من الأم الثانية ، وزرع التشكيل الجديد فى رحم نعجة ثالثة ، هذه القفزة تحرك الكثير من الأسئلة العلمية ، إلى أن تمضى المرحلة ، وماذا سيحمل الغد من المفاجآت ؟

---

[١] مجلة العربى ، العدد ٤٦٧ ، جمادى الأولى ١٤١٨هـ ـ أكتوبر ١٩٩٧م ، بقلم د. عبد الفتاح محمد عطا الله أستاذ المناعة بجامعة جورج واشنطن صـ ١١٧ ـ ١١٨ بقلم د. خالص جلبى ، صـ ٧٢ .

فبهذه القفزة العلمية استطاع الذكاء الإنسانى أن يفصـــل بيـــن الجنس والإنجاب فى مستوى الحيوانات الثديية التى تنسب إليـــها ، وهذا يعنى أن الطريق إلى إنتاج الإنسان بـــهذه الطريقـــة أصبـــح مفتوحا ولا يحتاج إلا إلى الوقت وربما نفاجأ بهذه النسخ الإنســـانية تدب على الأرض كما حدث مع أجنة أنابيب الاختبار فى مفاجـــأة بيولوجية يضحك المرء منها ويتعجب عندما يرى الإنســـان نفســـه ليس فى المرآة بل مرآة الطبيعة ، والأعجب أن هذه النسخة ليست من نوع النسخة اليتيمة التى لا تتكرر ، بل يمكن إيجاد نسخ حسب الطلب بأعداد لا نهائية ، بمعنى أن جسم كل واحد منا يتحول بـــهذه الطريقة إلى ماكينة إنتاج لنسخ (فوتو كوبى بيولوجية) لا نهائية عن شكله المتفرد[١] .

بعد ذلك أعلن الخلية (نوبرت ماكنيل) مـــن جامعـــة مينوســـتا الأمريكية أنه استنسخ أبو ذنيبة (الطور الأول للضفادع عن طريـــق دمج خلية من دم ضفدعة فى بويضة ضفدعـــة مخـــلاة النـــواة) ، وأعلنت بريطانيا أن معاملها انتجت العام الماضى ٨٠ ألف حيـــوان جديد ولدت بعد تحويرها وراثيـــا بوضـــع جينـــات بشـــرية فـــى الميكروبات والأسماك والأرانب والفـــئران والخنـــازير والأغنـــام والأبقار ويتوقع العلماء أن هذه الخنازير ستمد البشرية بقطع غيـــار

---

[١] مجلة العربى ، العدد ٤٦٦ ، سبتمبر ١٩٩٧ .

لقلوبنا المعطوبة فى القريب العاجل .

وكان العلماء قد أعلنوا عن استنساخ النعجـة (جيـب) وكـان نصفها ماعز ، ونصفها الآخر خروف وهذا ما جعلهم يفكرون فـى استنساخ الإنسان القرد ، والهدف من إنتاج الإنسان القرد مضاهات مواده الوراثية بمورثات الحفائر التى اكتشفت ويقال أنـها شـبيهة بالإنسان القرد أصل الإنسان العاقل الذى عاش منذ ٤ ملايين سنة ، وبعد عدة أيام من الإعلان عن إستنساخ دوللى أعلن علماء جامعـة مينوش بإستراليا عن استنساخ ٤٧٠ بقرة مـن بويضـة وحيـوان منوى واحد[١] .

ثالثا : المخاطر الناجمة عن الإستنساخ البشرى :

أكدت ندوة استنساخ الحيوانات والبشر أن تجربـة الاستنسـاخ أخطر من تجارب الأسلحة النووية فما زالت صفـات الحيوانـات المستنسخة غير معروفة .

ويضيف الدكتور محمد الصاوى أن الخطورة تكمن فى الحمض النووى حيث يتكون من ٤ قواعد نيتروجينية وأى تغيير أو لمسـة ولو بسيطة لهذا الحمض أو هذه القواعد يمكن أن تثـير الجينـات السرطانية ، فكل شخص داخله جينات سرطانية فى حالـة جمـود

---

[١] مجلة العلم ، العدد ٢٤٨ ، مايو ١٩٩٧ ، صـ ٣٨ .

وأى اقتراب منها ينشطها وتبدأ عملها[١] .

يقول العلماء إنه إذا سمح لهذه التقنية الجديدة (الاستنساخ) فى ميدان البشر من أجناس معينة أو العنصريين والمتعصبين الذين يعادون بعض الأجناس البشرية ، فلا شك أن هناك خللا يصيب الإنسانية وخاصة نسبة الرجال إلى نسبة النساء ، ويمكن أن يحدث عن ذلك أضرار كثيرة .

والاستنساخ يؤدى إلى حرمان هذا المستنسخ مما يحظى به كل إنسان فى استخلاف البشر وتواصل الأجيال والكيان الأسرى[٢] .

وفى هذا يقول الله تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فهناك خللا فى العلاقات الأسرية يحدثها الاستنساخ فكيف يمكن تحديد العلاقات فى الميراث والزواج .

كما سيؤدى هذا الاستنساخ إلى إختلاط بالأنساب الذى يترتب عليه كثير من المضار فيما يتعلق بالمصاهرة والزواج وحق الميراث والوصية ، فالإنسان المستنسخ سيشعر أنه إنسان ضائع

---

[١] الأخبار ١٩٩٧/٣/٣١ ، صـ ١٤ بقلم الدكتور محمد الصاوى أستاذ علم الجينات والوراثة بجامعة عين شمس .

[٢] منبر الإسلام ، السنة ٥٦ ، العدد ربيع الأول ١٤١٨هـ ـ يوليو ١٩٩٧ بقلم د. حسن الشافعى ، صـ ١٠٤ .

ليس له أسرة أو هوية فهو يعتبر كاللقيط[١] .

وفى الاستنساخ مجافاة للفطرة الإنسانية وهى اختلال فى وجود الذكر والأنثى وفى هذا تضاد لحكمة الله ، فلنا أن نتصور ما يترتب على ذلك من تداعيات على البشرية وكلها بالطبع شرور وفساد لأنه إذا تركت للإنسانية حرية اختيار جنس المولود لاختار معظم الناس جنس الولد وفى ذلك زيادة النزعات المادية ولعدنا إلى قصة قابيل وهابيل وقتل الأخر لأخيه للفوز بأنثى بعد اختلال النسب الجنسية الربانية وازدياد الذكور على حساب الإناث[٢] .

ويرى كثير من الأطباء أن الخطر الحقيقى يتمثل فى صعوبة السيطرة الحكومية بإصدار التشريعات فإن فى إمكان أى معمل عادى أن يقوم بها[٣] .

وبتنظيم عقد النكاح تنتظم نوعية الإنجاب حرصا على سلامة النسل وتحسينه ، وتمييزا لنوعية العواطف بين الأقارب حرم الإسلام نكاح المحارم .

كما أن الإنجاب الشرعى المتولد عن سكون الزوجين يضمن

---

[١] المرجع السابق بقلم الدكتور صفوت حامد ، صـ ١٠٨ .

[٢] مجلة الجمعية الكيميائية ، العدد ٢٩ يوليو ، ١٩٩٧ ، صـ ١١ .

[٣] مجلة الأزهر ، رجب ١٤١٨هـ ـ نوفمبر ١٩٩٧م ، صـ ١٠٦٧ .

استمرار التناسل النقى السليم وحفظ النوع البشرى بعيدا عن الإنحرافات الجنسية المولدة للأمراض التناسلية مما ينتج معه نسل نقى لذلك يجب عدم إطلاق العنان لتقنيات الإنجاب الإصطناعية حفظا لصلات النسب فإقتحام مسالك علم الجينات بدون إنضباط يؤدى إلى أن يمزج فى التكوين بين خلائق مختلفة قد تكون نتاجا بين حيوان وإنسان هو نوع الإنسان المشوه بدلا من إنسان اليوم السوى الخلقة .

هل سيصل العلم إلى أن يجنب بتلاقح الأمشاج عن طريق التحكم سلفا فى المميزات العقلية والخصوصيات الفيزيولوجية إنسان متفوقا فى مداركه ومؤهلاته يقتصر اقتناؤه على مجتمع دون آخر ؟! إنسان لا يملك الحصول عليه سوى المجتمعات الثرية القادرة على دفع ثمنه يضيف وجوده إلى مشكلات التفاوت الطبقى معضلة التفاوت العلمى[١] .

ربما كانت هذه الصورة المخيفة التى ستترتب على تجارب الاستنساخ هى التى دفعت ببعض علماء الاجنة إلى إعلان توقفهم عن مواصلة المغامرة .

وقد اتخذت دول العالم بعض المواقف لمواجهة هذا الخطر ،

---

[١] مجلة الإسلام اليوم ، تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة أيسيكو ، العدد ٥ ، ذو القعدة ١٤٠٧ هـ ، يوليو ١٩٩٧ م ، صـ ٢٣ : ٢٦ .

فالرئيس الأمريكى بيل كلينتون ، والرئيس الفرنسى جاك شيراك ، والرئيس الألمانى كول ورؤساء الدول القادرة على إجراء مثل هذه التجارب أصدروا قرارات لوقف التجارب التى يمكن أن تجرى لإستنساخ الإنسان[1] .

فبالنسبة للإستنساخ فى مجال الإنسان يجدب أن تصدر توصية واضحة تمنع الاستنساخ فى مجال الإنسان .

إن المصلحة التى روج لها بعض الباحثين فى الاستنساخ البشرى غير أكيدة بل هى مشكوك فيها من الناحية العلمية ، وذلك أنهم زعموا أن الاستنساخ سيؤدى إلى تثبيت العبقريات الإنسانية فنحظى بفريق بحث علمى كلهم اينشتين أو ابن رشد أو بفريق فنى كلهم شارلى شابلن أو الموصلى .

والواقع أن علم الوراثة لا يشهد لهذا الزعم ، فالاستنساخ إنما يضمن التماثل المادى شكلا وسمة وبنية مادية ، أما المواهب المادية والنفسية والقدرات العلمية والإبداعية والمهارات الفنية والجوانب المعنوية بشكل عام التى تشكل مع السمات المادية شخصية الإنسان فأكثرها يرجع إلى التربية والتنشئة الاجتماعية

---

(١) منبر الإسلام ، السنة ٥٦ ، العدد ٧ ، رجب ١٤١٨هـ ـ نوفمبر ١٩٩٧ م ، صـ ٧٦ .

بوجه عام[١] .

كذلك يؤكد خبراء الاستنساخ بعد ضجة دوللى أن المستنسخات ليست نسخا طبق الأصل ١٠٠% من أصحاب الخلايا الكاملة لأن المورثات بالحيوان المستنسخ بها ١٠% مورثات ورثت له من سيتوبلازم البيوضة المنزوعة النواة التى زرعت بها الخلية الجسمية الكاملة مع الاختلاف البيئى فى إزدحام الأمهات البدائل[٢].

رابعا : الدين والعلم :

موقف الإسلام من العلم وتمجيده له وتكريم العلماء تشهد به آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله تعالى يقول : (إنما يخشى الله من عباده العلماء)[٣] .

أى إنما يخشاه حق خشية العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر[٤] .

---

[١] مجلة العربى ، العدد ٤٦٦ ، سبتمبر ١٩٩٧ ، بقلم د. حسن الشافعى أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، صـ ١٤ .

[٢] مجلة العلم العدد ٢٤٨ ، مايو ١٩٩٧ ، صـ ٣٨ .

[٣] فاطر ، الآية ٢٨ .

[٤] مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد على الصابونى ، م الثالث ، ص ١٤٦

والعلماء لهم في كل جيل دور كبير يرشدون الجاهل ويــردون الضال وينطقون بالحق ويواجهون التحديات بالعلم والمعرفة[١] .

قال تعالى : (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمــر منــهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)[٢] .

وآيات القرآن شاهدة على حث الإسلام على العلم والإســتزاده منه وتكريم الذين يعلمون .

يقول تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتــوا العلــم درجات)[٣] .

ويقول سبحانه : (قل هل يستوى الذيــن يعلمــون والذيــن لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب)[٤] .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر" .

ويقول صلى الله عليه وسلم : "من سلك طريقا يلتمس فيه علما

---

[١] كتاب أخلاق العلماء تأليف أبو بكر محمد ابن الحسن بن عبد الله الأجرى المتــوف سنة ٣٦٠ هـ ، تقديم وتحقيق د. أحمد عبد الرحيم الشايخ ، صـ ٧ .

[٢] النساء الآية ٨٣ .

[٣] المجادلة ، الآية ١١ .

[٤] الزمر الآية ٩ .

سهل الله له طريقا إلى الجنة"[١] .

فالإسلام دين علم ومعرفة ومجالات العلم والمعرفة فى الإسلام تسع السموات والأرض وهو إذ يجعل للعلم هذه المكانة ويجعل للعلماء هذه المنزلة إنما يريد أن يشتغل الناس بما ينفعهم وبما يعود عليهم بالخير فى حياتهم وبما يدفع الضرر عنهم ، فالعلم الذى ينتج للناس خيرا مقبول ومستحسن ، والعلم الذى يلحق الضرر بهم ويحدث الفساد فى الأرض مرفوض ومذموم[٢] .

ولذلك فإن الإسلام لا يقلل من جهود العلماء فى مجال الاستنساخ فى العلم النافع المفيد ولا يبخسهم حقهم حين أدت بحوثهم إلى معرفة جزء من مكنونات الله فى خلقه ويحمد لهم أنهم استطاعوا أن يقرأوا أسطر فى كتاب الله وعرفوا منه : ما يتصل بالجينات وخصائصها ، ولو أنهم سألوا أنفسهم : كيف وجد كل هذا بهذه الدقة وبهذا الإعجاز لقالوا : سبحان الله[٣] .

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان : فلا مانع فى ميزان اليقين بوجود الله عز وجل أن يتبين الطبيب الأسباب والظروف التى

---

[١] الجامع الصحيح سنن الترمذى ، جـ ٥ ، صـ ٢٨ ، رقم ٢٦٤٦ .

[٢] منبر الإسلام ، السنة ٥٦ ، العدد ٣ ، ربيع الأولى ١٤١٨ هـ - يوليو ١٩٩٧م ، صـ ١٢٢٢ ، بقلم أ.د. عبد الرحمن العدوى .

[٣] مجلة الأزهر ، رجب ١٤١٨هـ ، نوفمبر ١٩٩٧ ، صـ ١٠٧٢ .

أقامها الله سبيلا لتخلق الإنسان وتكوينه فى رحم الأم ثم لا مانع من أن يمكن الطبيب من استغلال هذه الأسباب والظروف ويجمع أشتاتها فى أى مناخ صناعى وأن تتحقق النتيجة ذاتها ، ويكون الحكم مدار الإباحة والحرمة على أمرين :

الأول : أن يتأكد العلماء والأطباء أن هذه الطريقة لن تعقب أى ضرر جسمى أو نفسى أو عقلى فى الجنين بعد ولادته فإذا لم يتوافر هذا اليقين فإن الإقدام على ذلك محرم بالإتفاق عملا بالقاعدة الشرعية لا ضرر ولا ضرار .

الثاني : ألا يستتبع الإقدام على هذا العمل اختلاط فى الأنساب[١] ، لأن من أهداف الإسلام الأصلية فى الحياة حفظ النسب والعرض وهو يدعو إلى أن يسير هذا العلم فى الطريق المشروع لخدمة الإنسانية والتخفيف من متاعبها لكن ينبغى لنا ألا نغلو فى البحث العلمى عن طريق اقتحام مسالك علم الجينات بدون انضباط وبدون إخضاع هذه التقنيات العلمية للضوابط الخلقية والسياسية والاجتماعية ، فسلوك طريق الغلو فى البحث العلمى يوشك أن يؤدى إلى عكس ما يستهدفه من تطوير حاضر البشرية .

فهذه العملية إذ تبدو خلقا تاما فى حين أنها قد تستحيل تتحول

---

[١] أطفال الأنابيب نظرة إسلامية د. أحمد عبد الرحمن عيسى ، صـ ١٠٢ ، بقلم محمد سعيد رمضان البوطى لمجلة العربى ، عدد ٢٤٢ ، يناير ١٩٧٩ .

إلى عملية إفساد وتشويه للخلق[١] ، وليستحضر رواد البحث العلمى هذه الحقائق حتى لا يصبح العلم عبثا بالخلق .

خامسا : حكم الاستنساخ :

الأصل الذى يقوم عليه النظر الشرعى فى المسائل المتجـــددة التى لم ترد نصا فى كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم تسبق لها نظائر تقاس عليها هو المصلحة الإنسانية ، فقد استقر رأى فقهاء المسلمين جميعا أن الشريعة جاء لحفظ مصـــالح العباد فى حياتهم الدنيوية وحياتهم الأخروية ، أى ما كـــان منـــها ضروريا لقيام الحياة الإنسانية واستمرارها أو لازما لتسييرها ودفع المشقة والحرج عن سبيلها ، وتتمثل المصالح الضروريـــة فيمـــا عرف بالمقاصد الشرعية الخمسة وهى : حفظ الدين ، والنفـــس ، والعقل ، والعرض ، والمال ... وهى أمور تتوقف عليـــها حيـــاة الناس[٢] .

---

[١] الإسلام اليوم مجلة تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافـــة ، إيســـيكو ، صـــ ٢٦ : ٣٠ .

[٢] معنى أنها مصالح ضرورية ، أى لابد منها فى قيام مصالح الديـــن والدنيـــا بحيـــث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على إستقامة ، بل على إفساد وتهارج وفوت حيـــاة وفى الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين ، انظر : الموافقات فى أصـــول الشريعة ، جـــ ٢ ، صـــ ١٢ ، طبع المكتبة التجارية مصر .

إن الإستنساخ إذا ما اقتصر تطبيقه على غير المجال البشرى لا خطر فيه ولا يمس المقاصد الشرعية الخمسة لأن فى تطبيق الاستنساخ على البشر مساس لكرامة الإنسان الذى جعله الله خليفته فى الأرض يعمرها ، ففى الاستنساخ البشرى يجعل الإنسان كحيوانات التجارب ، كما إن الإستنساخ يؤدى على إلى اختلاط فى الأنساب الذى أمر الله بصونها ، والاستنساخ إذا كان يؤدى كما رأينا إلى مفاسد ، حتى لو كان يؤدى على بعض الفوائد التى لم يثبت تحققها وتحقق منافعها ، فإنه يحرم العمل به طبقا للقاعدة الفقهية (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) .

ولقد أكد علماء الطب هذا الضرر الذى ترتب عليه التحريم ، يقول الدكتور محمد الوحش أخصائى جراحة وزراعة الكبد بمستشفى رويال فرى بلندن : إن الإستنساخ الآدمى عملية محرمة علميا ودينيا ، فمن الناحية العلمية تتعارض مع جميع القيم والأخلاقيات حيث يتم نسخ صور متكررة من البشر ولا نستطيع تخمين النتيجة ، وبالنسبة لاستنساخ أعضاء آدمية لابد من استنساخ إنسان كامل ، وبالتالى يلزم تحويل الإنسان الذى كرمه الله إلى حيوانات تجارب[١] .

وإذا كنا قد ذكرنا إن الإسلام لا يعارض العلم النافع بل يشجعه،

---

(١) الأخبار ١٩٩٧/٣/٣١ ، صـ ١٤ بقلم الدكتور محمد الوحش .

فإنه كذلك لا يقر العلم الضار الذى لا نفع فيه أو الذى يغلب ضرره نفعه .

والإسلام يحرم العلم الضار ليحمى البشر من أضراره ، والقاعدة الفقهية فى الإسلام أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

وبناء على هذا ، فإنه يجب التفريق بين استخدام الاستنساخ فى النبات والحيوان لإنتاج سلالات قوية ونافعة وعلاج الأمراض ، وبين استخدامه لإستنساخ إنسان وفى ذلك من المخاطر ما لا يمكن حصره ويحيط به من كل جانب ؛ لأنه يعرض الإنسان الذى كرمه الله لأن يكون مجالا للعبث والتجربة وإيجاد أشكال مشوهة وممسوخة ، وكل ذلك حرام .

يقول الدكتور عبد الله مبروك النجار أن هذا العمل يستهدف تغيير منهج الله فى خلقه ويعتبر من عمل الشيطان ، فالأحاديث تدل على أن كل تغيير لخلق الله فى الكون وكل أمر يضيع الأسس التى يقوم عليها التشريع ومن أهمها مسألة النسل الذى هو من مقاصد الشريعة الإسلامية ، يشملها خطاب التحريم والنهى ، ومن ضمن قواعد النسل أن الولد للفراش ، ومعنى ذلك أن أى مولود يولد من غير الفراش ، ومن غير الطريق الذى جعله الله أساسا لإثبات النسب سيكون فى هذه الحالة بغير اعتبار شرعى ، وبالتالى فإن كل تفكير فى الخلق على غير المنوال الذى أعده الله وأمر به يكون

مخالفا لهذا النهج ، وخارجا على ما أقره النبى صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش .

من أجل هذا كان الرأى عند كثير من الذين تناولوا هذا الموضوع أن يمتنع هؤلاء العلماء عن الاستمرار فى مثل هذه التجارب بل أنه يجب أن تصدر توصية واضحة بهذا المنع ، فمقومات الدين وأصول الشريعة والمقاصد التى بنيت عليها هذه الشريعة مهددة تهديدا سافرا ، وبالتالى يجب منع الاستنساخ البشرى بشتى الوسائل الشرعية[١] .

ويقول الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية : "نحن متفقون من حيث المبدأ على أن الاستنساخ ليس خلقا وإنما واقع هذه الحياة ومعاملة مع المادة التى خلقها الله سبحانه وتعالى" .

الاستنساخ فى غير الإنسان مشروع لأنه سخر فى خدمة الإنسان ولصالحه ، وأن الاستنساخ فى الإنسان جزئيا مشروع لأنه نوع من العلاج .

والاستنساخ لم يتحقق بالنسبة للإنسان إلى الآن ، وهى ما تزال قضية افتراضية وبالتالى نفترض أن الاستنساخ قد حدث فعلا ،

---

[١] منبر الإسلام ، السنة ٥٦ ، العدد ٣ ، ربيع الأول ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م ، ص ١١٣ ، بقلم أ.د. عبد الله مبروك النجار .

فالحكم له شقين :

الشق الأول : مد جواز التجارب .

الشق الثانى : هل ذلك مقبول شرعا أو غير مقبول فى حالة نجاح الإنسان فى استنساخ الإنسان .

اعتقد أن مدى جواز التجارب مرتبط ارتباطا كـــاملا بالشـــق الثانى وهو جواز الاستنساخ فى حد ذاته فى الإنسان لأن القـــاعدة الشرعية تقول : سد الذرائع إن كان يتعلق بمنع مفســـدة نقــول إن الحكم الشرعى الذى يقع عيه هو إننا نحرم اعتمادا على ما ســـبق طبقا لقاعدة سد الذرائع ، فما يؤدى إلى المباح فهو مبـــاح ، ومـــا يؤدى إلى الحرام فهو حرام وإذا كان هنـــاك أمـــر ســيؤدى فـــى المستقبل إلى الحلال فهو مشروع ، وإذا كان الفعـــل أو التجربـــة تؤدى إلى فعل مفسد فنقول إن الفعل محرم[١] .

وإذا كان صاحب الفضيلة مفتى الجمهورية قسم الاستنساخ إلــى قسمين جزئى وكلى ، الاستنساخ الجزئى فى الإنسان ، ورأيه أنـــه مشروع لأنه نوع من العلاج ، والثانى الاستنساخ الكلى ، وهذا لـــم يتحقق للإنسان حتى الآن ، وافترض فضيلته أنه قد حدث فعلا وأن الحكم فيه متوقف على النتيجة فيما يؤدى إلى المباح فهو مباح ومـا يؤدى إلى الحرام فهو حرام .

---

[١] المرجع السابق ، صـــ ١١٧ ، بقلم الدكتور نصر الدين فريد مفتى الجمهورية .

وإذا كان هناك أمر سيؤدى فى المستقبل إلى الحلال فهو مشروع وإذا كان الفعل أو التجربة تؤدى إلى فعل مفسد إن الفعل محرم ، ولم أفهم من هذا الكلام حكم الاستنساخ صراحة ، لكنى أقول : والله تعالى أعلى وأعلم .

أننا أمام فعل واضح نحتاج إلى معرفة حكمه ، فنتائجه إلى حد كبير معروفة للمتخصصين من العلماء ، وقد عرفناها من التجارب التى أجريت على العجماوات .

وبناء عليه إذا كان العلماء قالوا إن سلوك طريق الغلو فى البحث العلمى يوشك أن يؤدى إلى عكس ما يستهدفه من تطوير حاضر البشرية ، فهذه العملية إذ تبدو خلقا تاما فى حين أنها قد تستحيل فتتحول إلى عملية إفساد وتشيه للخلق .

وقال بعض الأطباء[١] : إن هذه العملية تتعارض مع جميع القيم والأخلاقيات حيث يتم نسخ صور متكررة من البشر ولا نستطيع تخمين النتيجة ، وبالنسبة إلى استنساخ أعضاء آدمية لابد من استنساخ إنسان كامل ، وبالتالى يلزم تحويل الإنسان الذى كرمه الله تعالى إلى حيوانات تجارب .

---

[١] د. محمد الوحش ، انظر صـــ من هذا البحث .

إذن نقول ــ وكما سبق القول لبعض العلماء[١] ــ إن الاستنساخ يستهدف تغيير منهج الله فى خلقه ويعتبر من عمل الشيطان ، هذا من ناحية .

والاستنساخ فى الإقدام عليه اختلاط فى الأنساب ، ومن أهداف الإسلام حفظ النسل والعرض ، والاستنساخ يتعارض مع الطريق الذى أعده الله تعالى وهو الإنجاب الشرعى المتولد عن سكون الزوجين .

والطريق الشرعى يضمن استمرار التناسل النقى السليم وحفظ النوع البشرى بعيدا عن الإنحرافات الجنسية المولدة للأمراض التناسلية ، فالله سبحانه وتعالى نظم عقد النكاح لتنظيم نوعية الإنجاب حرصا على سلامة النسل وتحسينه ، ولأجل هذا حرم الإسلام نكاح المحارم .

لكل هذا وغيره أقول أن الاستنساخ الجزئى والكلى حرام شرعا لما يترتب على فعله من مضار ومفاسد متعددة تخالف منهج الشريعة الجالب للمصالح والدافع للمفاسد ... هذا حكم الاستنساخ فى نظرى .

وبعد ذكر هذا الحكم أقول إن ما ظهر حديثا من الاستنساخ

---

[١] د. عبد الله مبروك النجار ، انظر صـــ من هذا البحث .

اللاجنسى الذى كشف عن طريقة جديدة فى الحياة وقانون طبيعــى فى التكاثر وذلك عن طريق الخلية الحية الكاملة الجســـدية التــى عملت عمل الخلية الجنسية ، وكان محصلة هذه التجربة نشوءا حيا وتكاثرا حيويا جديدا فى الثدييات ، يوصلنا إلى حقيقة إيمانية وهــى أن البشر إذا كانوا بما علمهم الله تعالى قد وصلوا إلى هذا العمــل ، فإن رب البشر الذى يقول للشئ كن فيكون وهو الخالق لكل شــئ ، إذا كان سبحانه وتعالى خلق آدم من تراب ، وحواء من آدم بــلا أم ، وسيدنا عيسى من أم دون أب والناس جميعا من أب وأم ، هـــل يليق بنا بعد ذلك أن ننسب له صاحبة أو ولدا ؟ سبحانه جل شـــأنه صدق حيث قال : (ما كان لله أن يتخذ ولد سبحانه إذا قضى أمـــرا فإنما يقول له كن فيكون)[١] .

ويقول جل شأنه (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين)[٢] حاشا لله تعالى أن ينسب إليه الولد أو الوالــدة أو الصاحبــة أو الصاحب ... والله سبحانه وتعالى أعلم وأعز وأكرم

وصلى الله على سيدنا محمد النبى
الأمى وعلى آله وصحبه وسلم
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

[١] مريم آية ٣٥ .

[٢] الزخرف آية ٨١ .

المبحث الثانى
التلقيح الصناعى

تمهيـــد :

يعد التلقيح الصناعى من أحدث قضايا النســـل والـــذى يتخـــذ كرغبة ووسيلة للحصول على الولد عندما تحول الظروف الطبيعية دون إنجاب .

هذا وقد نالت هذه القضية اهتمام الكثير مـــن أوســـاط النـــاس وراحوا يستفسرون عن مشروعيتها ، خاصة تلك الزوجات اللاتـــى يشكين من آلام بسبب الإيلاج ، أو بسبب أن الظـــروف الطبيعيـــة تحول بينهم وبين الإنجاب .

ويسأل الأزواج عن إمكانية قيام أزواجهن بالتلقيح الصنـــاعى ، كما يسأل الأطباء عن مشروعية عمليات التلقيح .

كل هذه الاستفسارات نتناولها بشئ من التفصيل غير الممل فى هذا المبحث .

ففى البداية نذكر مفهوم التلقيح الصناعى ، ثـــم نذكـــر لمحـــة تاريخية عن التلقيح الصناعى مبينيين مراحل تطوره ، ثم نظـــهر كيف أن فقهاءنا عرفوا المبادئ التى تحكـــم التلقيـــح الصنـــاعى ، ونذكر حكم الإسلام فيه وذلك على هيئة إفتراضات .

ونظرا لحداثة هذه القضية فأغلبية الأحكام هنا اجتهادات أساسها

الرأى وقبل التعرض للكلام عن الأحكام نبين طرق هذا التلقيح ، ثم مشروعيته ، ثم نتبع ذلك بذكر القضايا الخلقية الناتجة عن الإنجاب الصناعى ، ثم نختم بذكر واجب الزوج والطبيب والأمة نحو هـــذا التلقيح الصناعى .

أولا : مفهوم التلقيح الصناعى :

جاء فى كتب اللغة :

اللقاح اسم من ماء الفحل من الإبل والخيل ، وما يلقح به النبـــات والشجر .

يقال : لقح الفحل الناقة إلقاحا ، فإذا استبان حملها قيل : استبان لقاحها ، وإذا كان أصل اللقاح للإبل ، فقد استعير بها فى النســاء ، فيقال : لقحت إذا حملت .

ويقال للأمهات : الملاقيح ، والملاقيح : ما فى بطون الأمــهات وهى الأجنة .

كما يقال لقحت الناقة لقحا ولقاحا : أى قبلت ماء الفحل فـــهى لاقح ولقوح .

يقال لقحت النخلة ولقح الزرع ، والتلقيح فى النخل ما تلقح بـــه النخلة من اللقاح .

واللواقح من الرياح ، ويقال ألقحت الريح السحابة : خالطتـــها

ببروقها فأمطرت .

ويقال ألقحت الريح الشجر والنبات : نقلت اللقاح من عضو التذكير إلى عضو التأنيث ، ومن ذلك قوله تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح)[١] .

والريح لواقح لأنها هى التى تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح فيقال : ريح لاقح ، كما يقال : ناقة لاقح ، ويشهد على ذلك وصف الله لريح العذاب بالعقيم فجعلها عقيما إذا لم تلقح .

وريح لواقح أى حوامل ، فجعل الريح لاقحا لأنها تحمل الماء والسحاب وتقلبه وتصرفه ثم تستدره[٢] .

ومن المعلوم أن تخلق الولد إنما يكون من السائل المنوى الذى يخرج من الرجل فيصل إلى الرحم .

وفى هذا يقول سبحانه وتعالى : (خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب)[٣] .

وفى التفسير : (خلق من ماء دافق) جملة مستأنفة جواب

---

(١) الحجر ٢٢ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ، جـ ٥ ، صـ ٤٠٥٩ ، المعجم الوجيز ، صـ ٥٦١ ، ٥٦٢ ، تفسير فتح القدير لمحمد بن على بن محمد الشوكانى ، جـ ٣ ، صـ ١٣٠ .

(٣) الطارق الآية ٧ .

سؤال مقدر.

والماء هو المنى ، والمعنى الكلى : إن الإنسان خلق من منـــى مدفوق أو مصبوب فى الرحم ، والماء هنا هو منى الرجل والمرأة، لأن الإنسان مخلوق منهما ، وجعلهما ماء واحد لإمتزاجهما ، ثـــم وصف الماء بأنه (يخرج من بين الصلب والـــترائب) أى صلـــب الرجل (فقرات ظـــهره) ، وترائـــب المـــرأة (أضـــلاع قفصـــها الصدرى)[1] .

ويقول عز وجل : (إنا خلقنا الإنسان من نطفة إمشاج)[2].

ولا تتخلق نطفة الرجل إلا إذا وصلت إلى رحم المرأة المستعد لقبولها ، وقد يكون هذا الوصول عن طريق الاختـــلاط الجســـدى الجنسى ، وعندئذ يكون نسب الوليد من هذا الاتصال موصولا بأبيه متى كان قد تم فى ظل عقد الزواج الصحيح (الولد للفراش) .

وقد يكون عن طريق إدخال نطفة الرجل فى رحم المرأة بغـير الإتصال الجنسى[3] .

فالحمل يمكن أن يحصل بإدخال المنـــى إلـــى الرحـــم بـــدون

---

[1] تفسير فتح القدير لمحمد بن على بن محمد الشوكانى ، جـ ٥ ، صـ ٤١٥ .

[2] الدهر ، ٢ .

[3] الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصرية ، المجلد التاسع ، صـ ٣٢١٨ .

الإتصال الجسدى المعتاد ، فقد أوجب الفقهاء على من أدخلت منى زوجها فى فرجها أن تعتد لاحتياجها لتعرف براءة الرحم[١] .

وفى هذا المعنى قال علماء الشافعية : إذا أخذت المرأة منيا ظنته منى زوجها ثم تبين أنه ليس لزوجها فعليها العدة كالموطوءة بشبهة ، واشترطوا أن يكون الإدخال لمنى محترم وقت إنزاله واستدخاله بمعنى أن يوجد الإنزال والإستدخال معا فى الزوجية ، فلو أنزل ثم تزوجها فاستدخلته أو أنزل وهى زوجة ثم أبانها واستدخلته لم تجب العدة ولم يلحقه الولد .

وشرط كونه محترما عند الإنزال والإدخال محل خلاف فى مذهب الشافعية ، لأن بعضهم اعتمد اعتبار وقت الإنزال فقط وإن كان الاستدخال محرما ، وقال بعضهم : والظاهر أن هذا ــ أى الإنزال والاستدخال وهى زوجة ــ غير معتبر بل الشرط أن لا يكون من زنا[٢] .

ويقول صاحب البحر الرائق ، ابن نجيم الحنفى : "لم أر حكم

---

[١] العدة ، وهى مدة تتقيد بها الزوجة حتى تعرف براءة رحمها من الحمل .

[٢] واختلفوا فى لحوق الولد الذى جاء من منى استنزله بيده لحرمته ، فقيل لا عدة فيه ولا يلحقه نسبه لحرمته ، وقيل فيه عدة ويلحقه نسبه للاختلاف فى إباحته لكنهم قالوا الأقرب الأول ، انظر : حواشى الشروانى وابن قاسم العبادى مع نهاية المحتاج ، ج ٨ ، صـ ٢٣١ ، والعزيز شرح الوجيز ، كتاب العدة ، جـ ٩ ، صـ ٤٣٢ .

ما إذا وطئها فى دبرها ، أو أدخلت منيه فى فرجها من غير إيلاج ، وفى تحرير الشافعية وجوبها فيهما (أى العدة على المرأة حالة وطئها فى دبرها ، وكذلك حال إدخال منيه فى فرجها من غير إيلاج) والأبعد أن يحكم على المذهب الثانى"[١] .

فهذا القول الذى نلقناه عن علماء الشافعية وعن ابن نجيم أن وصول الماء من غير طريق الإيلاج قد يكون وسيلة لشغل رحم المرأة بالجنين ، وهو فى نفس الوقت يتضمن مبدأ جواز تكون الطفل من الماء الحيوى دون حاجة إلى العملية الجنسية .

ولهذا يطلق التلقيح الصناعى على : التقاء نطفة الرجل ببيضة المرأة بطريقة صناعية ، أو بغير الاتصال الجنسى المباشر لغرض الحمل[٢] .

وهو يتم بأحد طريقين أساسيين :

الأول : طريق التلقيح الداخلى وذلك بحقن نطفة الرجل ببيضة المرأة فى أنبوب اختبار فى المختبرات الطبية ثم زرع البيضة

---

[١] البحر الرائق شرح كنز الدقائق للعلامة زين الدين بن نجيم الحنفى ، حـ ٤ ، ص ١٤٠ .

[٢] الفتاوى دراسة لمشكلات المسلم المعاصر فى حياته اليومية العامة للإمام محمود شلتوت ، صـ ٣٢٦ .

الملقحة (اللقيحة) فى رحم المرأة[1] ، **أو تستدخل البويضة الملحقة** إلى داخل رحم إمرأة أخرى لتتم بداخله **الأطوار** الجنينية حتى الميلاد .

والملاحظ أن التلقيح تم فى أنبوب قبوق الرحم لا دور له وأنه إن كان الإدخال فى رحم المرأة الزوجة فلا شئ فى هذا ، وإن كان الإدخال فى غير الزوجة فلا مخاوف منه ؛ لإن استدخال بويضة ملقحة فى الرحم كإستدخالها فى الأنبوب ، فالرحم هنا كالأنبوب تماما ، ولم يقل أحد بأن الإدخال فى الأنبوب ممنوع فكذلك الإدخال فى رحم أمرأة ثانية .

ثانيا : ***مراحل تطور التلقيح الصناعى*** :

التلقيح الصناعى الذى يطلق على إلتقاء نطفة الرجل ببيضة المرأة بغير الاتصال الجنسى المباشر لغرض الحمل ، فإذا كان التلقيح غير إنسانى ، فهذه العملية ليست من مخترعات هذا العصر ، فالعقل فطن إلى إمكان حدوثه ، وعرف الناس جميعا منذ فجر التاريخ ، واستخدم الناس التوالد بالتلقيح فى الحيوانات والنباتات .

---

[1] انظر : الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة ، أولا الإنجاب فى ضوء الإسلام ، ص٤٧٧ ، الطبعة الثانية المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية .

فيروى أن العرب عرفوه فى القرن الرابع عشر ، فقد روى أن شيخين من العرب كانا يتنافسان فى إقتناء الخيول الأصلية ، وكان أحدهما يفوق خصمه فى كل سباق ، فإغتاظ منافسه ، فأوعز إلى بعض رجاله أن يلقحوا فى جنح الليل أفراس خصمه بمنى حصان من صعاليك الخيل[١] .

لكن التلقيح الصناعى الإنسانى فلم يتوصل إليه الإنسان إلا حديثا فبعد نجاح علماء الوراثة وحصولهم على أنواع حسنة من الحيوانات ، وثمار جيدة من النباتات ، حثهم ذلك ودفعهم إلى أجراء التلقيح على الآدميين ، ففى سنة ١٨٩٩م قام الدكتور الإنجليزى (جون فنتر) بتلقيح نطفة الزوج إلى الزوجة ، وبالفعل نجحت التجربة وتكون بالتلقيح الصناعى جنين .

هذا النجاح فكر التلقيح الصناعى الإنسانى دفع العلماء فى سنة ١٩١٨ فى فرنسا إلى إجراء التلقيح على المرأة بغير نطفة الزوج .

وقد تطورت فكرة التلقيح الصناعى الإنسانى مرة أخرى فأصبح التلقيح يتم خارج الرحم فى أنبوبة ، ثم تنقل البويضة إلى رحم المرأة التى أخذت منها أو إلى غيرها من النساء ، ومن أجل ذلك فكر العلماء فى إنشاء بنك للنطف .

---

[١] الأسرة تحت رعاية الإسلام ، عطية صقر ، جـ ١ ، صـ ١١٢ ، ١١٣ .

هذا وقد تطورت تجارب التلقيح الصناعى ، وراح العلماء يجرون التلقيح فى أرحام الحيوانات لتقوم بالحمل بدلا من الآدميات[١] .

هذا ونحب أن ننوه بأن الفقهاء عرفوا التلقيح الصناعى الإنسانى وصرحوا بأن شغل رحم المرأة بنطف الرجل وحدوث الحمل ، قد يحدث بغير الاتصال العضوى بينهما ، وتترتب عليه الآثار الشرعية من عدة ونسب ، وفى هذا المعنى ذكرنا نص الشافعية والكلام الذى ساقه صاحب البحر وهو : "لم أر حكم ما إذا وطئها فى دبرها ، أو إذا أدخلت منيه فى فرجها من غير إيلاج ، وفى تحرير الشافعية وجوبها فيهما ، ولا بعد أن يحكم على المذهب الثانى"[٢] .

ثالثا : *المبادئ التى تحكم التلقيح الصناعى* :

إن من أهداف الإسلام الأصلية فى الحياة حفظ النسب والعرض، وقد جعل الله للتناسل طريقا طبيعيا معتادا ، فإذا قامت عقبات فى وجه هذا الطريق الطبيعى للمشروع ، وأمكن للعالم التغلب على هذه العقبات ، فإن الإسلام لا يقف فى وجه العلم وما

---

[١] بيان للناس من الأزهر الشريف ، جـ ٢ ، صـ ٢٤٠ .

[٢] البحر الرائق شرح كنز الدقائق للعلامة زين الدين ابن نجيم ، جـ ٤ ، صـ ١٤٠ ، حواشى الشروانى وابن قاسم العبادى مع نهاية المحتاج ، جـ ٨ ، صـ ٢٣١ .

وصل إليه من وسائل للتغلب على هذه العقبات ، فالإسلام يدعو إلى أن يسير العلم فى الطريق المشروع لخدمة الإنسانية والتخفيف من متاعبها .

إذا فالتناسل الطبيعى بين الزوجين هو الأصل ، فإذا لم يتمكنا منه لسبب من الأسباب وأمكن للعلم التغلب على هذه العقبات وإعطاء الزوجين ذرية من مائهما الخاص ، فإن ذلك لا يمنعه الإسلام ، لكن ذلك لا يكون إذا أمكن العلاج والتغلب على العقبات التى تقف فى وجه التناسل الطبيعى ، لأن الإسلام يوجب مراعاة عدة مبادئ من أهمها[١] :

١ ـ التداوى جائز شرعا بغير المحرم ، بل قد يكون واجبا إذا ترتب عليه حفظ النفس وعلاج العقم فى واحد من الزوجين .

٢ ـ المحافظة على النسل من المقاصد الضرورية التى استهدفتها أحكام الشريعة الإسلامية ، ولذا شرع النكاح وحرم السفاح والتبنى.

٣ ـ تلقيح الزوجة بذات منى زوجها جائز شرعا ، فإن كان من غير زوجها فهو محرم ، ويكون فى معنى الزنا[٢] .

---

[١] أطفال الأنابيب نظرة إسلامية ، د. أحمد عبد الرحمن عيسى ، ط الأهرام ، ص ٩٥.

[٢] لا خلاف بين الفقهاء فى أن من أدخل ذكره فى فرج إمرأة مطبقة أو غيرها زناسواء=

٤ ـــ الزوج الذى يتبنى أى طفل انفصل وكان الحل بــــه بـــإحدى الطرق المحرمة لا يكون إبنا له شرعا ، والزوج الذى يقبـــل أن تحمل زوجته نطفة غيره سماه الإسلام ديوثا[١] .

٥ ـــ كل طفل ناشئ بالطرق المحرمة قطعا من التلقيح الصناعى لا ينسب إلى أب جبرا ، وإنما ينسب لمن حملت به ووضعتــــه باعتباره حالة ولادة طبيعية كولد الزنا الفعلى تماما .

٦ ـــ الطبيب هو الخبير الفنى فى إجراء التلقيح الصناعى أيا كانت

=أنزل أم لم يترل ، أما إذا أدخلت المرأة منى الرجـــل الأجنـــبى فى فرجـــها بـــدون وطءفسبق القول عن الشافعية وجوب العدة على هذه المرأة ، وقال ابن نجيم الحنفـــى أن القواعد لا تتبنى وجوب العدة للتعرف على براءة الرحم ، فالزوجة التى أدخلـــت منيا ظنته منى زوجها ثم تبين لها أنها ليس كذلك تعتد عدة المطلقة ثلاثة قروء .

وهل يعتبر هذا الفعل زنا ؟ ... يرى فضيلة الإمام الأكبر للشيخ شلتوت رحمـــه الله تعالى أن هذا الفعل يلتقى مع الزنا وإن كان لا حد فيه ووافقه على ذلك فضيلـــة الشيخ جاد الحق الإمام الأكبر ، ويرى بعض العلماء أن التلقيح والزنا لا يلتقيـــان فى شئ وأن العبرة فى الزنا فعل الوطء (الشيخ سلام مدكور ـــ الجنين والأحكام المتعلقـــة به فى الفقه الإسلامى صـــ ٣١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩) .

وأميل إلى القول الثانى لأن الزنا له حقيقة عند العلماء لا يدخل فيها إدخال المـــنى فى الفرج وإذا لم يدخل فى حقيقة الزنا هذا الفعل فإنه لا يكون زنا وإنما يكون فعـــلا محرما ، لأنه يودى على نتائج غير صحيحة كاختلاط الأنساب وإدخال المنى يختلـــف على استدخال بويضة ملقحة إلى رحم امرأة أخرى ، فهذا لا يدخله شبهة الزنا .

[١] الديوث هو الذى لا غيرة له على أهله .

صورته ، فإن كان عمله فى صورة غير مشروعة كان آثما.

٧ ــ إنشاء مستودع تستحلب فيه نطف رجال لهم صفات معينة لتلقح بها نساء لهن صفات معينة شر مستطير على نظام الأسرة ، ونذير بإنتهاء الحياة الأسرية .

رابعا : حكم الإسلام فى إستعمال التلقيح الصناعى :

إذا كان قد ظهر لنا من خلال التنويه فى مراحل تطور التلقيح الصناعى ، أن الفقهاء عرفوا التلقيح الصناعى ، حيث أنهم صرحوا بأن شغل رحم المرأة بنطفة الرجل وحدوث الحمل قد يحدث بغير الاتصال العضوى بينهما ورتبوا على ذلك الآثار الشرعية عدة ونسبا ، فقد اعترفوا بجواز تكون الطفل من الماء الحيوى دون حاجة إلى العملية الجنسية ، وهل يكون ذلك إلا أحد فروض (وسائل) التلقيح الصناعى ...

وفيما يلى نعرض حكم الإسلام فى استعمال التلقيح الصناعى فى الإنسان .

الافتراض الأول :

ما حكم الشرع إذا أخذ منى الزوج ولقحت به الزوجة ؟

إن هذا السؤال المطروح يضع افتراضا وهو فى الحقيقة يعبر عن حالة من الحالات التى قد تكون فيها الزوجة مريضة مرضا يمنع من معاشرة الزوج لها ، ولا يمكن الحمل إلا عن هذا الطريق

وهو أخذ منى الزوج وتلقح به الزوجة ، فهل يكون هذا العمل جائز شرعا أم ممنوع ؟

للإجابة نذكر أولا ما قاله بعض العلماء فى هـذه الخصـوص ونصه : "إذا كان الهدف من العلاقة الزوجية هو التوالـد حفظـا للنوع الإنسانى ، والاختلاط هو الوسيلة الأساسية والوحيدة لإفضاء الدوافع الغريزية فى كل منهما حتى تستقر النطفة فى مكمن نشوئها كما أراد الله وبالوسيلة التى خلقها فى كل منهما ، لا يعدل عنها إلا إذا دعت داعية كأن يكون بواحد منهما ما يمنع حدوث الحمل بـهذا الطريق الجسدى المعتاد مرضا أو فطرة وخلقا من الخالق سـبحانه ، فإذا كان شئ من ذلك ، وكان تلقيح الزوجة بذات منى زوجـها جاز شرعا إجراء هذا التلقيح تخريجا على ما قرره الفقـهاء مـن وجوب العدة وثبوت النسب على من استدخلت منى زوجـها فـى محل التناسل منها"[١] .

ويقول الشيخ عطية صقر : يجوز شرعا ، ولا مانع فيه مـن الدين (كون التلقيح بين الزوج والزوجة) فقد يكون وسيلة لإشـباع غريزة الأبوة والأمومة عندما تحول الظروف الطبيعية دون إنجاب الذرية ، وسببا من أسباب الاستقرار العائلى[٢] .

---

[١] بيان للناس من الأزهر الشريف ، جـ ٢ ، صـ ٢٤١ ، ٢٤٢ .

[٢] موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ، جـ ١ ، صـ ١٢٤ .

وأود أن أقول تأكيدا لما قيل آنفا :

أننا نفهم من كلام صاحب البحر (أحد فقهاء الأحناف) وما نقلناه عن الشافعية جواز تكون الطفل من الماء الحيوى دون حاجة إلى عملية الإختلاط الجسدى المعتاد ، ولهذا رتبوا على وصول الماء عن طريق الإيلاج ، وسيلة لشغل الرحم ، العدة وثبوت النسب وهل ذلك إلا الفرض الذى أمامنا ، فهنا تم إدخال ماء الزوج فى رحم زوجته دون جماع ، وهو فى نظرنا جائز شرعا ، ويترتب عليه ثبوت النسب قطعا إلى الزوج وإلى أمه صاحبة البويضة ، وهى كذلك الحاضنة مع ضرورة الاحتياط الشديد فى حفظ البويضة من أن تختلط بغيرها .

الإفتراض الثانى :

ما حكم الشرع إذا كان التلقيح بغير ماء الزوج ؟

تلقيح الزوجة بمنى رجل آخر غير زوجها سواء ؛ لأن الزوج ليس به منى ، أو كان به ولكنه غير صالح ، تقول دار الإفتاء المصرية :

"يحرم ذلك شرعا ، لما يترتب عليه من الاختلاط فى الأنساب ، بل ونسبة ولد إلى أب لم يخلق من مائه ، وفوق هذا ففى هذه الطريقة من التلقيح إذا حدث بها الحمل معنى الزنا ونتائجه ، والزنا محرما

قطعا بنصوص القرآن والسنة[١] .

وإذا كانت الفتوى اقتصرت على ذكر التحريم ، ولم يذكر فيها دليلا لتحريم هذا الفعل فإننى أقول : إن الله تعالى وصف المؤمنين والمؤمنات بأنهم الذين هم لفروجهم حافظون .

قال تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون) .

وحفظ فرج المرأة المؤمنة لا يمكن أن يكون متحققا إلا إذا حفظ من الإيلاج فيه لغير زوجها ، وكذلك بحفظه من إدخال منى غير منى زوجها ، فإذا فعلت غير ذلك فهى ليست بفالحة ، وهذا ممنوع شرعا لما يترتب على ذلك من اختلاط الأنساب ، وفى هذه الحالة ذ ماؤه لأنه هدر ، وإنما ينسب

المرأة من غير ماء زوجها وإضافة ولد غريب إلى الأسـرة لـه حقوق الأولاد الحقيقيين من الميراث وغيره من الأحكام[١] .

هكذا تبين لنا أن هذا العمل حرام ، وتحايل على إقناع النسـاء بنتائج الزنا ، ومن علم به من الأزواج ، ورضى عنه فهو الديـوث الذى لا يغار على عرض أهله .

الإفتـراض الثالث :

ما حكم الشرع فيما لو أخذ منى الزوج ولقحـت بـه ببيضـة امـرأة ليست زوجتـه ، ثـم نقلت هـذه البيضـة الملقحـة إلى رحـم زوجـة صاحب المنى لكونها صاحب لا تفرز بييضات ؟

للإجابة على هذا السؤال أقول : الفرض هنـا مختلـف عـن الفرض السابق ، ذلك أن صاحبة البويضة هنا أجنبيـة ، وهنـاك كانت زوجة ، فالفرض هنا تلقيح ببيضة امرأة بمنى رجـل ليـس زوجها ، ثم نقل هذه البييضة الملقحة إلى رحـم زوجـة الرجـل صاحب هذا المنى ، وهذا لغرض الولد الذى يتحقق ويولد من هـذا الصنيع بيقين ، إذ أنه يؤدى إلى اختلاط الأنساب ، لأنه وإن كـان المنى هو للزوج ولكنه لا يتخلق إلا بإذن الله ، وحين التقائه ببيضة الزوجة .

وهذا الافتراض افتقدت فيه بيضة الزوجة ، وجئ ببييضة امرأة

---

[١] هذا حلال وهذا حرام ، عبد القادر أحمد عطا ، صـ ٢٤٣ ، ط دار التراث العربى .

أخرى ، ومن ثم لم تكن الزوجة حرثا فى هذه الحالة لزوجها .

قال تعالى : (نساؤكم حرث لكم)[١] .

فكل ما تحمل به المرأة لابد أن يكون نتيجة الصلة المشروعة بين الزوجين سواء باختلاط أعضاء التناسل فيهما كالمعتاد ، أو بطريقة استدخال منيه إلى ذات رحمها ليتخلق وينشأ .

قال سبحانه : (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث)[٢] .

وإذا كانت البييضة ليست لزوجة صاحب المنى وإنما لإمرأة محرمة عليه فلا حرث فصارت هذه الصورة فى معنى الزنا المحرم قطعا[٣] .

وأرى أن لا ينسب الولد إلى الرجل لأنه ليس من بييضة إمرأة له علاقة شرعية بها ، ولا يقام على أحد منهم حد الزنا ، وإنما عليهم التعزير على أنه توجد علاقة بين هذا الولد وصاحبة

---

[١] البقرة ٢٢٣ .

[٢] الزمر ٦ .

[٣] بيان للناس من الأزهر الشريف ، حـ ٢ ، صـ ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ط بمطابع وزارة الأوقاف .

البييضة ، فهذا الطفل جزء منها ، والحنفية اعتبروا علة التحريم في الرضاع هي الجزئية أو سنتها وهذه الجزئية توجب الحرمة .

الإفتراض الرابع :

ما حكم الشرع إذا أخذت بييضة إمرأة لا تحمل ولقحت بمنى زوجها خارج رحمها (أنابيب) ثم بعد الإخصاب تعاد البييضة إلى رحم هذه الزوجة مرة أخرى ؟

جاء فى الفتاوى الإسلامية[١] :

إذا ثبت قطعا أن البييضة من الزوجة والمنى من زوجها ، وتم تفاعلهما وإخصابهما خارج رحم هذه الزوجة (أنابيب) وأعيدت البيضة ملقحة إلى رحم تلك الزوجة ، وكان هناك ضرورة طبية داعية لهذا الإجراء كمرض بالزوجة يمنع الإتصال العضوى مع زوجها ، أو به هو قام المنع ، ونصح طبيب حاذق مجرب بأن الزوجة لا تحمل إلا بهذا الطريق ولم تستبدل الأنبوبة التى عن هذه العملية جائزة شرعا ، لأن الأولاد نعمة وزينة ، وعدم الحمل لعائق وإمكان علاجه جائز شرعا ، بل قد يصير واجبا فى بعض المواطن .

فقد جاء إعرابى فقال : يا رسول الله أنتداوى ؟ قال : نعم :

---

[١] الفتاوى الإسلامية ، المجلد التاسع ، صـ ٣٢٢١ ، ٣٢٢٢ ..

"فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله"[١] .

ويقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى فى مقال له نشرته مجلة العربى فى عددها رقم ٢٤٢ يناير ١٩٧٩ : "لا مـــانع فـــى ميزان اليقين بوجود الله عز وجل أن يتبيـــن الطبيـــب الأســـباب والظروف التى أقامها الله سبيلا لتخليق الإنسان فى رحم الأم ، ثـــم لا مانع من أن يمكن الطبيب من إستغلال هذه الأسباب والظـــروف ويجمع أشتاتها فى أى مناخ صناعى وأن تتحقق النتيجـــة ذاتـــها ، وحكم إخصاب النطفة خارج الرحم مدراه فى الإباحـــة والحرمـــة على أمرين اثنين :

الأمر الأول : أن يتأكد العلماء والأطباء تأكدا تامـــا مـــن أن هـــذه الطريقة لن تعقب أى ضرر جسمى أو نفسى أو عقلى فى الجنيـــن بعد ولادته ، فإذا لم يتوافر هذا اليقين فإن الإقدام على ذلك محـــرم استنادا إلى القاعدة الشرعية الكلية : لا ضرر ولا ضرار .

وإذا كان للرجل أكثر من إمرأة وكانت إحداهـــن عقيمـــا مـــع سلامة مبيضها فأخذت بويضتها وتلقح بماء زوجها وترد البييضـــة الملقحة إلى رحم إحدى ضراتها السليمة الرحم فيتربى فى رحمـــها

---

[١] نيل الأوطار شرح منتقى الأخيار لمحمد بن على بن محمد الشوكانى ، باب الطـــب ، جـــ ٨ ، صـــ ٢٠٠ .

حتى يولد .

فالحكم فى هذه الصورة يتوقف على بيان الآثار المترتبة على هذه العملية ، ومما لا شك فيه أن هذا الطفل ينسب إلى زوج صاحب البييضة وضرتها التى حملت هذه البييضة الملقحة ، وهذا أمر واضح لقيام الفراش وهو الزوجية ، أما إلى من ينسب هذا الطفل من ناحية الأم الصاحبة للبييضة أم التى حملته ؟

يقول فضيلة الشيخ بدر متولى عبد الباسط : إن الذى أدين الله عليه أن هذا الطفل ابن أو بنت التى حملته لا صاحبة البييضة لقوله تعالى : (إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم) وهذا نص قطعى الثبوت والدلالة ولا سيما أنه جاء على صيغة الحصر ، فليست صاحبة البيضة إلا كالدجاجة تبيض ولكن لا ينسب فرخها إليها بل إلى الدجاجة التى حضنته ، فالفرخ المتخلق من هذه البييضة لا يعرف إلا أمه التى حضنته ، ويقول سبحانه وتعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهن على وهن) فهل صاحبة البييضة حملته وهنا على وهن ؟ وكذلك يقول الله تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها) ... فهل صاحبة البييضة كذلك ؟.

هذا من ناحية النص ، ومن ناحية المعنى أن البييضة إنما نمت وتغذت بدم التى حملتها وتحملت آلام الحمل وآلام المخاض ... فهل يعقل أن ينسب الولد لغيرها ؟ وعليه فهذا الولد ابن لهذه التى

حملته وولدته ، ويأخذ كل أحكام الولد بالنسبة لأمه والأم بالنسبة لولدها من حيث الميراث والنسب ووجوب النفقة والحضانة وامتداد الحل والحرمة على أصولها وفروعها وحواشيها إلى غير ذلك".

بقى الكلام على علاقة صاحبة البييضة كالأم المرضعة ، وذلك لأن الحنفية اعتبروا علة التحريم فى الرضاع هى الجزئية أو شبهتها كأقل ما يقال أن هذا الطفل فيه جزئية من صاحبة البييضة توجب حرمة الرضاعة ، على أنى لا استريح إلى هذا التخريج ، وأرى أن عملها هدر لا تترتب عليه أحكام ، ألا ترى أن إمرأة لو غذت طفلا رضيعا بدمها بالطرق المعروفة الآن ، هل يثبت بين صاحب الدم وبين هذا الطفل حرمة الرضاع ؟ والذى يبدو لى من قوله تعالى : (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم)[١] ، إن الإرضاع فيه معنى الجزئية والذى أقطع به أن هذه المرأة لا تتجاوز أن تكون زوجة أب هذا الطفل ، أما ما وراء ذلك من تعلق حرمة الرضاع بها وبأصولها وفروعها وحواشيها فأمر موهوم ، أكثر مما هو مظنون .

إن القول الذى ذهب إليه بعض الباحثين فى هذه المسألة بأن الأم هى صاحبة البييضة قول مردود للأدلة النقلية والعقلية السابقة ، ولما يترتب عليه من آثار خطيرة من أن إمرأة تبيض وأخريات

---

[١] سورة النساء آية ٢٣ .

يحملن ويتألمن ويعانين آلام الحمل والمخاض ثم لا يتمتعن حتـــى ولا بصفة الأمومة .

رأيى فى هذه المسألة :

إنى ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، أرى أن للطفل أمين :

الأولى : التى حملته .

والثانية : صاحبة البييضة .

أما أمومة الأولى فدليلها ما ذكره القائلون أن أمه هى من حملته ، وإن كانت أدلتهم لا تصلح إلا لإثبات الأمومة الناقصة للولد على أساس فقدان وصف ضرورة آخر للأمومة الكاملة وهو أن تكـــون ببييضتها سببا فى تكوينه ، ولما لم تكن كذلك فلا محل للقول بـــأن كل أحكام الولد بالنسبة لأمه والأم بالنسبة لولدها فهى أم بالوكالـــة فقط وتنطبق عليهما كما زعم أصحاب هذا القول ، لأن هذه الأم لم تعطه أيا من جيناتها الوراثية .

وأما الثانية : صاحبة البييضة : فهى أمه أيضا لكنـــها ليســت كالأم المرضعة بل أنها أمه التى أعطته جيناتـــها الوراثيـــة ، وإن كانت لم تحمله فى رحمها ، وعليه فليست أمومتها كاملة لأن وصفا من أوصاف الأمومة الكاملة وهو الولادة ولم تتحقق . قد يقال كيف يقال : إن صاحبة البييضات أما مع أنه لم تحمل ولم تضع ؟

ويجاب على هذا بأن القرآن الكريم سمى التى أرضعت أما مع

أنها لم تحمل ، قال تعالى فى معرض ذكر المحرمات من النســاء (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة)[١] ، فهنا سمى الله تعالى من أرضعت أما مع أنها لم تلده وإنما ولدته غيرها وهـى أرضعته . والله تعالى سمى الأصل أما ، قال تعــالى : (وعنـد أم الكتاب)[٢].

فالأصل سماه القرآن أما ، وهذا الطفل المولود فيه جزئية مـن صاحبة البييضة فهى أصله أى أمه وعلى هذا فالتى أخذت بييضتها والتى حملت أم وهذا فى رأيى هو الأصح والأولى بالقبول ذلك أن الله تعالى خاطب بقوله عز وجل : (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار)[٣] .

فالحمل الذى تكلمت عنه الآية والذى يعمله الله تعالى ، يكــون بعد إلتقاء بييضتها بماء زوجها وهذا أول طور من أطــوار خلــق الجنين ، ويسمى بالنطفة الأمشاج ، وهى الخليقة المكونة من إتحاد شقى الخلية التناسلية (البييضة والمنى) فى بــوق الرحــم ــ قنــاة فالوب .

فإلتقاء الخلية التناسلية يتم بإندماج الجينات المنوية مع الجينــات

---

(١) آية ٢٣ من سورة النساء .

(٢) آية ٣٩ من سورة الرعد .

(٣) الآية ٨ من سورة الرعد .

البييضية لتكون خلية متكاملة تحتوى على عدد من الكروموسوم عدد ٤٦ وقابلة للإنقسام ويستمر هذا الانقسام حتى تصبح النطفة الأمشاج فى شكل ثمرة التوت خلال ثلاثة أيام تقريبا ، بعد هذا الخلق صار حملا ، والله سبحانه وتعالى أعلم ما إذا كان يستقر فى الرحم أم لا ، قال تعالى : (ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى)(١) ، فصاحبة البييضة شاركت به فى تكوين الحمل ، وهذا يؤكد أنها أصله أى أمه ردا .

وإذا كان هذا الولد له أمان بمقتضى ما ذكرناه فإنه يمكن أن تكون له أم ثالثة وذلك إذا أرضعته إمرأة أخرى واستوفت شروط الرضاعة فتكون أمه من الرضاعة بالإضافة على أمه التى حملته وأمه صاحبة البييضة ، وما يقال من أن هذه الجزئية التى أخذت من صاحبة البييضة فلا يمكن قبوله لأن هذه الجزئية هى الأساس للحمل التى تم فى رحم الأم البديلة .

بعد هذا أقول :

إذا كان هذا الأمر وهو أخذ بييضة إمرأة وتلقح بماء زوجها وترد البييضة الملقحة إلى رحم إحدى ضراتها السليمة أو غيرها ، فيه مثل هذه الشبهة على كثير من الباحثين ، أليس من الواجب أن نقول أنه غير جائز شرعا ، وأن فعله حرام ، وليس لفعله من فائدة

---

(١) آية ٥ من سورة الحج .

، وعليه فالاولى سد هذا الباب أخذا بمبدأ سد الذريعة . والله أعلى وأعلم ،

الأمر الثانى : ألا يستتبع الإقدام على هذا العمل اختلاط فى الأنساب ، فإذا كانت النطفة التى يراد إخصابها بهذه الطريقة هى نطفة كل من الزوج والزوجة وتمت إعادتها إلى رحم الزوجة فذلك جائز[١] . يعتبر هذا الفرض من قبيل العلاج ، فإذا ظهر بأحد الزوجين علة تمنع الاتصال العضوى ، أو أن الزوجة لا يمكن أن تحمل إلا بهذه الصورة ، وقد أمكن العلاج بغير المحرم عن طريق الإخصاب بمائهما خارج الرحم ، وهذا يجوز ، لأن الإسلام لا يمنع العلم إذا أمكنه التغلب على العقبات التى تقف فى وجه التناسل الطبيعى بين زوجين شرعيين ، وينسب الولد إليهما ، ويأخذ كل أحكام الولد .

الإفتراض الخامس :

ما حكم الشرع فيما إذا أخذت بويضة إمرأة لا تحمل ولقحت بمنى زوجها خارج رحمها فى رحم أنثى غير الإنسان من الحيوانات ، ثم بعد الإخصاب يعاد الجنين إلى رحم هذه المرأة مرة أخرى ؟

بيان حكم الشرع فى هذا الفرض ، نذكره فيما يلى[٢] :

---

[١] أطفال الأنابيب ، د. أحمد عبد الرحمن عيسى ، صـ ١٠٢ .

[٢] الفتاوى الإسلامية ، المجلد التاسع ، صـ ٣٢٢٢ ، ٣٢٢٣ .

أنه لما كان التلقيح على هذه الصورة بين بييضة الزوجة ونطفة زوجها يجمع بينهما فى رحم أنثى من الحيوانات ، فإذا مرت هـذه البييضة الملقحة بمراحل النمو التى قال عنها القرآن الكريم : (ثـم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقـة فخلقنـا العلقـة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقـا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)[١] .

سيكتسب هذا المخلوق صفات هذه الأنثى التى أغتذى بدمها فى رحمها وائتلف معها حتى صار جزءا منها ، فإذا آن خروجه يـدب على الأرض كان مخلوقا آخر ، ألا ترى حين ينزو الحمار علـى الفرس وتحمل هل تكون ثمرتهما لواحد منهما !!؟ إنه يكون خلقـا آخر صورة وطبيعة ، هذا إن بقيت البويضة بأنثى الحيـوان إلـى حين فصالها ، إما إن انتزعت بعد التخلق وانبعـاث الحيـاة فيـها وأعيدت إلى رحم الزوجة فلا مراء ، كذلك فى أنـها تكـون قـد اكتسبت الكثير من صفات أنثى الحيوان التى احتواها رحمها ، فإنه كان غذاؤها وكساؤها ومأواها ولا مرية فى أن هذا المخلوق يخرج على غير طباع الإنسان بل على غرار تلك التى احتضنته رحمـها لأن رواثة الصفات والطباع أمر ثابت بيـن السـلالات حيوانيـة ونباتية تنتقل مع الوليد إلى الحفيد ، ذلك أمر قطع فيه العلم ومـن

---

[١] المؤمنون ١٣ ، ١٤ .

قبله الإسلام يدلنا على هذا قوله صلى الله عليه وسلم : "تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء"[١] ... فهذه توجيهات تشير على علم الوراثة ، وإن إرث الفضائل أو الرذائل ينتقل فى السلالة .

ويقول الشاعر :

إذا تزوجت فكن حاذقا واسأل عن الغصن وعن منبته[٢]

وبهذا نرى أن تلك البييضة الملقحة التى نقلت إلى رحم أنثى غير الإنسان تأخذ منه ولا فكاك لها منه إن قدرت لها الحياة ، وإن خرج هذا المخلوق على صورة الإنسان لا يكون إنسانا بالطبع والواقع ومن يفعل هذا يكون قد أفسد خليقة الله فى أرضه ، ومن القواعد التى أصلها فقهاء الإسلام أخذا من مقاصد الشريعة أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وإذا كان التلقيح فى هذه الصورة مفسدة فإنه يحرم فعله .

خامسا : *القضايا الخلقية الناجمة عن الإنجاب الصناعى* :

إننا اليوم أمام تطور مذهل لتحكم العلم الحديث فى أنواع الإنجاب الإصطناعى ، وهذا منذر بأن الإنسان سيواجه معضلات

---

[١] فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ، جـ ٩ ، صـ ١٠٢ ، باب أى النساء خير .

[٢] المستظرف فى كل فن مستظرف تأليف شهاب الدين محمد بن أحمد الإبشيهى ، صـ ٢٩٣ ، ب ٧٣ ، فى ذكر النساء .

خلقية ستقلب أوضاع المجتمع[١] .

١ ــ إن إطلاق العنان لتقنيات الإنجاب الإصطناعى يهدد استمرار صلات النسب بحكم إن إنتشار الماء الحيوى بين المجتمعات عبر بنوك المنى واستعمالها على غير نظام ودون التقيد بالعلاقات الخلقية على الأقل سوف يفتح باب التناسل الذى لا ينضبط بأصل ولا ينتمى إلى فصيلة أو جنس .

٢ ــ إن التبنى عن طريق الإنجاب الإصطناعى يحطم ما تتميز به الأسرة المنتظمة فى زواج من شعور الوئام والعاطفة التى يقوم على قاعدتها نظام الأسرة .

٣ ــ يؤدى نقل النطف والبييضات إلى نشر أمراض وراثية وبائية قبل أن تكتشفها بنوك النطف والمنى خاصة عندما يسودها التنافس التجارى المحض التى ستنحدر إليه مجتمعات الإستهلاك الرأسمالية.

٤ ــ بالتلقيح الصناعى نكون قد أخذنا نتجه باختلاط الأمشاج إلى أن تفقد كل أمة هويتها الحضارية لتذوب فى مجتمع لا تعرف له هوية .

٥ ــ إن إقتحام مسالك علم الجينات بدون إنضباط يؤدى إلى أن

---

[١] الإسلام اليوم ، مجلة تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، إيسيسكو .

يمزج فى التكوين بين خلائق مختلفة ، قد تكون نتاجا بين حيوان وإنسان هو نوع الإنسان المشوه بدلا من إنسان اليوم السوى الخلقة.

٦ ـ هل سيصل العلم إلى أن ينجب بتلاقح الأمشاج ، وعن طريق التحكم سلفا فى المميزات العقلية والخصوصيات الفيزيولويجة إنسانا متفوقا فى مدراكه ومؤهلاته يقتصر إقتناؤه على مجتمع دون آخر ، إنسان لا تملك الحصول عليه إلا المجتمعات الثرية ، يضيف وجوده إلى مشكلات التفاوت الطبقى معضلات التفاوت العلمى ، كما أنه قد يؤدى وجوده إلى نازية جديدة متعالية تتحكم فى مصائر الشعوب أو ينقسم معه العالم إلى مجتمع سيد وآخر مسود ، تفضل بينهما مميزات التكوين وخصوصياته .

ربما كانت هذه الصورة المخيفة هى التى دفعت ببعض علماء الأجنة إلى إعلان توقفهم عن مواصلة المغامرة ، فمن الضرورى إخضاع هذه التقنيات للضوابط الخلقية والسياسية والإجتماعية والإقتصادية ، فسلوك طريق البحث العلمى يوشك أن يؤدى إلى عكس ما يستهدفه من تطوير حاضر للبشرية ، فقد تبدو العملية علاجا للعقم ، لكنها قد تؤدى إلى عملية إفساد وتشويه للخلق والمصيبة فى العقم أهون من المصيبة فى اختلاط النسب، فليستحضر روادالبحث العلمى هذه الحقائق حتىلا يصبح العلم عبثا

سادسا : واجب الزوج والطبيب والأمة نحو التلقيح الصناعى :

إن قصد الإنسان قد تغير مع مراحل تطور تجارب التلقيح الصناعى ، ففى البداية كان قصد الإنسان من التلقيح الصناعى علميا محضا ، ولم يكن من أهداف الحصول على نسل إنسانى أحسن وأقوى ، كما هو الشأن فى الحيوان والنبات ، ثم بعد تبين نجاح التجارب اتخذ سبيلا لتحقيق رغبة الحصول على الولد بالنسبة للزوجين اللذين يقفان فى وجه التناسل عندهم عقبات ليشعران بزينة الأبوة والأمومة .

ثم توسع فيه أرباب الآراء الفلسفية واتخذ سبيلا لتكثير سواد الأمة رغبة ف التوسع البشرى[١] .

وهذه الفكرة الفلسفية تعد أشبه بتجارب تحسين السلالات ومحلها الحيوان والنبات ، ومن هنا لا يجوز فى الإسلام التوسع والإنطلاق فى عمل التلقيح الصناعى بصورة مطلقة ، بمعنى نقل منى الرجل – أى رجل – وتلقيحه ببويضة إمرأة – أى إمرأة – لأنه إن حدث ذلك كان شراً مستطيرا ونذيرا لتفكيك أواصر الأسرة.

---

[١] الفتاوى دراسة لمشكلات المسلم المعاصر فى حياته اليومية العامة لمحمود شلتوت ، صـ ٣٢٦ .

فمن باب سد الذرائع وحفظ روابط الأسرة وصـــون الإنســان يحرم الإسلام الإنطلاق فى التلقيح الصناعى لتوالـــد الولــد ، ولا يجيزه إلا بين الزوجين وبالشروط التى بينها العلماء[١] .

أولا : واجب الزوج نحو التلقيح الصناعى :

إن من أهداف الإسلام الأصلية فى الحياة حفظ النسب والعرض ، وقد جعل الله للتناسل طريقا طبيعيا معتادا ، فإذا قامت عقبات فى وجه التناسل الطبيعى بين زوجين شرعيين وأمكن التغلب على هذه العقبات وإعطاء الزوجين ذرية من مائهما الخاص فــإن ذلــك لا يمنعه الإسلام[٢] .

فالتلقيح الصناعى جائز شرعا إذا كان بماء الزوج ودعت إليــه داعية كأن يكون بأحد الزوجين الراغبين فى إنجاب الأولاد مــانع يمنع الحمل عن طريق الإتصال الجسدى ، ومحرم شرعا إذا كــان بماء غير ماء الزوج لما فيه من معنى الزنا والاختلاط فى الأنساب ونسبة الولد إلى أب لم ينشأ من مائه ، والنسب فى الحالة الأولــى يكون ثابتا من الزواج فإن ولده قد خلق من مائه ، ولهذا الولد كــل حقوق الأولاد .

---

[١] بيان للناس من الأزهر الشريف ، جـ ٢ ، صـ ٢٥١ .

[٢] أطفال الأنابيب ، أحمد عبد الرحمن عيسى ، صـ ٩٥ .

أما النسب فى الحالة الثانية فإنه يأخذ حكم نسب الولد الذى ينشأ من زنا الزوجة[١] ، فلا فرق بين الزنا وبين هذا العمل الخسيس وهو حمل المرأة من غير ماء زوجها ، وإضافة ولد غريب إلى الأسرة له حقوق الأولاد الحقيقيين من الميراث وغيره من الأحكام ، فالفرق بين الزنا والتلقيح بهذه الصورة هو فيما يسبق قذف المنى وهى عملية الاستمتاع ، ومن هنا يتبين أن هذا العمل حرام وتحايل على إقناع النساء بنتائج الزنا فى موضوع النسل والولادة ، ومن علم به من الأزواج ورضى عنه فهو الديوث[٢] .

لما كان ذلك فإن الزوج الذى ينسب إلى نفسه أى طفل انفصل وكان الحمل به بإحدى الطرق المحرمة لا يكون ابنا له شرعا ، لأنه مشكوك فى أبوته له ، لأنه بهذا يكون أشد نكرا من التبنى ، لأنه يعرف قطعا أنه ابن غيره ، والزوج الذى يقبل أن تحمل زوجته نطفة غيره سواء بالزنا الفعلى أو بما فى معناه كهذا التلقيح رجل فقد كرامة الرجال ، ومن ثم فقد سماه الإسلام ديوثا ، وهذا هو شأن الرجل الذى يستبقى زوجة لقحت من غيره بإحدى هذه الطرق المحرمة التى لا تقرها الشريعة .

---

(١) الأحكام الأساسية للأسرة الإسلامية فى الفقه والقانون ، د. زكريا البرى ، ص١٧٦ ، ١٧٧ ، الناشر منشأة المعارف .

(٢) هذا حلال وهذا حرام ، عبد القادر أحمد عطا ، صـ ٢٤٣ ، الديوث (الغير غيور).

وهنا نضع أمام الأزواج حديث أبى هريرة صلى الله عليه وسلم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إيما إمرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شئ ولم يدخلها الله جنته ، وغيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله عنه وفضحه على روؤس الأولين والآخرين"[١] .

هذا قضاء الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : "فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم"[٢][٣] .

فالمسلم عليه أن يتحقق من أن ماءه فقط هو ما تم به تلقيح زوجه إذا ما وقف أمام تناسلهما بالطريق الطبيعى مانع ، وسواء أدخلت البويضة رحم زوجه أو استبقيت بعد التلقيح فى أنبوبة متى كان لذلك داع طبى ، فهذا فقط يقع فى دائرة المشروع من باب التداوى ، ولا يغيب عن عقله أن الله كرم الإنسان وبين له سبيل نجاحه فى الفوز برضوان الله عز وجل ، فالمصيبة فى العقم أهون من المصيبة فى اختلاط الأنساب ، وقد رأيت مصير الرجل الذى يقبل أن تضع زوجته بمنى غيره ، والمرأة التى تحمل من

---

[١] ضعيف سنن أبي داود كتاب الطلاق ، ب ٢٩ ، رقم ٢٢٦٣ ط المكتب الإسلامى .

[٢] النور ٦٣ .

[٣] الفتاوى الإسلامية المجلد التاسع ، صـ ٣٢٢٤ ، ٣٢٢٥ .

غير ماء زوجها .

ثانيا : واجب الطبيب نحو التلقيح الصناعى :

المحافظة على النسل من المقاصد الضرورية التى استهدفتها أحكام الشريعة الإسلامية ، ولذا شرع النكاح وحرم السفاح والتبنى ، وإذا كان التداوى جائز شرعا بغير المحرم بل قد يكون واجبا إذا ترتب عليه حفظ النفس وعلاج العقم فى واحد من الزوجين[١] ، لذلك لا مانع فى ميزان اليقين بوجود الله عز وجل أن يتبين الطبيب الأسباب والظروف التى أقامها الله سبيلا لتخليق الإنسان وتكونه فى رحم الأم ، ولا مانع من أن يتمكن الطبيب من استغلال هذه الأسباب والظروف ويجمع أشتاتها فى أى مناخ صناعى وأن تتحقق النتيجة ذاتها ، لأن الإسلام لا يمنع العلم إذا قامت عقبات فى وجه التناسل ، وأمكن العلم التغلب عليها بالمباح ، فالإسلام يدعو إلى أن يسير العلم فى الطريق المشروع لخدمة الإنسانية والتخفيف من متاعبها[٢] .

جاء إعرابى فقال : "يا رسول الله أنتداوى ؟ قال : نعم فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله"[٣] .

---

[١] المرجع السابق ، صـ ٣٢١٣ .

[٢] أطفال الأنابيب ، د. أحمد عبد الرحمن عيسى ، صـ ٩٥ ، ١٠٢ .س

[٣] سبق تخريج الحديث .

ولما كانت الوسيلة تأخذ حكم النتيجة الناشئة عنها فـإذا كـانت الوسيلة مباحة ولكنها تؤدى إلى نتيجة فاسدة وجب أن تحكم علـى الوسيلة نفسها بأنها فساد مثل نتيجتها ، والطبيب يعد الوسيلة إلـى التداوى بتشخيص الداء ووصف الدواء تبعا لخبرته ، وعلمه ، ومن ثم كانت مسئوليته إذا قصر وأهمل أو سلك طريقـا محرمـا فـى الإسلام ، فمتى أدى العمل أو الوسيلة إلى محرم صـار محرمـا كذلك.

لما كان ذلك ، فإذا أعان الطبيب بعلمه وعملـه فـى التلقيـح الصناعى على حصوله بالصور غير المشروعة يكون آثما ، إذا ما كان وسيلة للمحرم يكون محرم مباشرة [١]، ويكون كسبه محرمـا غير مشروع ، وعليه أن يقف عند الحد المباح وهو منحصر فـى تلقيح ببويضة زوجة بنطفة زوجها بإدخالها رحمها أو بإسـتنباتها بالتلقيح فى (أنبوبة) إلى حين ، ثم تستدخل فى رحم ذات الزوجة ، إذا تم ذلك كان عملا مروعا لا أثم فيه ولا حـرج مـن اختـلاف الأنساب أو وقوعه فى دائرة الزنا ، وبهذا يقع فى دائرة التـداوى التى قد تكون سبيلا للرزق بولد شرعى تمتد به ذكرى والديه بعـد مماتهما وبه تستكمل سعادتهما .

---

[١] بيان للناس من الأزهر الشريف ، جـ ٢ ، صـ ٢٥٠ .

ثالثا : واجب الأمة نحو التلقيح الصناعى :

إن الإسلام فى تكريمه للإنسان والحفظ على نوعه واستمرار نسله يعمر الأرض إلى أن يشاء الله ، حريص على أن يعيش فى أسرة متوادة متحابة متعارفة ، لا جماعات تقطعت أوصالها وانحلت عصباتها وغاضت أرحامها فهو يأمر بتكوين الأسرة ، تحمل الوالدين عبء أولادهما من التعليم والتربية الجسدية والعلمية ، ومن هنا لا يجيز الإسلام الإنطلاق فى عمل التلقيح الصناعى .

فإطلاق العنان لتقنيات الإنجاب الإصطناعى يفتح باب التناسل الذى لا ينضبط بأصل ولا ينتمى إلى فصيلة أو جنس ، كما أن هذا الإطلاق يحطم ما تتميز به الأسرة من شعور الوئام والعاطفة التى يقوم على قاعدتها نظام الأسرة ، كما إن انطلاق التلقيح الصناعى وانتشار الماء الحيوى بين المجتمعات عبر بنوك المنى واستعمالها على غير نظام ودون التقيد بالعلاقة الخلقية يؤدى إلى أن تفقد كل أمة نسبها لتذوب فى مجتمع لا تعرف له أنساب[١] .

فمن باب سد الذرائع وحفظا لروابط الأسرة وصونا للأنساب يحرم الإسلام انطلاق التلقيح الصناعى لتوالد الإنسان ولا يجيزه إلا بين الزوجين .

وقال عمر رضى الله عنه : "تعلموا أنسابكم تعرفوا به أصولكن

---

[١] راجع القضايا الخلقية الناتجة عن الإنجاب الصناعى .

فتصلوا بها أرحامكم" ، وقيل لو لم يكن من معرفة الأنساب إلا اعتزازها من صولة الأعداء وتنازع الأكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل الثواب[١] .

وبديلا لهذه البنوك وجه الإسلام الإنسان إلى المحافظة على قوة نسله ، وسلامة نفسه وجسده وذلك بإحسان اختيار كل من الزوجين للآخر ، وإلى الاغتراب فى الزواج ، بمعنى ترك الزواج بين ذوى القربى القريبة حتى لا يضعف النسل.

فقد أثبت العلم الحديث أن زواج الأقارب ينتج ذرية أفرادها على استعداد كبير للأمراض والتشوه بعيوب خلقية وأن درجة التناسل تقل حتى لقد تصل إلى العقم فى حين أن زواج الأباعد ينتج ذرية تفوق أيا من الأبوين على السواء[٢] .

ويقول الشاعر فى كتاب المستظرف[٣] :

صفات من يستحب الشرع خطبتها   صفاتها لأولى الألباب مختصرا
صبية ذات دين زانه أدب   بكر ولود حكت فى نفسها القمرا
غريبة لم تكن من أهل خاطبها   تلك الصفات التى أجلو لمن نظرا

---

(١) المستظرف ، م الأول للأبشيهى ، صـ ٣٦٤ .

(٢) الإعجاز العلمى فى الإسلام ، محمد كامل عبد الصمد ، صـ ٢٢٣ ، ط الدار المصرية اللبنانية .

(٣) المستظرف فى كل فن مستظرف ، م الثانى ، صـ ٢٩٣ ، ب ٧٣ فى ذكر النساء وصفاتهن .

فيها احاديث جاءت وهى ثابتـــة   أحاط بها علما بها من فى العلوم قـــرأ

وقيل أيضا :

إذا تزوجت فكـــــن حاذقــــــأ   واسأل عن الغصن وعـــن منبتــــــه

خاتمة

أولا : نتائج البحث :

١ ـ قضية الاستنساخ كانت محور مناقشات مستفيضة على كل المستويات العلمية والدينية .

٢ ـ إن الاستنساخ ليس سوى طريقة من طرق التكاثر البدائية فهو ليس بالإبتكار الجديد فهو موجود منذ فجر الحياة ويتم حسب المراحل التطورية البيئية وهو شائع في بعض الكائنات الأولية وحيدة الخلية .

٣ ـ الاستنساخ هو عملية لا جنسية لتكثير كائنات متطابقة وراثيا باستغلال ما هو موجود من خليةَ حية من صنع الله .

٤ ـ تعتمد الفكرة العلمية على أخذ خلية جسدية تحتوى على الحمض النووى وإدخال الحمض داخل بويضة تم تفريغها من الحمض الموجود بها ثم وضعها فى حضانات خاصة حتى يتم الانقسام مثل أى خلية ثم تؤخذ وتزرع داخل أى رحم .

٥ ـ هذا الاستنساخ اللاجنسى كشف عن طريقة جديدة فى الحياة وقانون طبيعى فى التكاثر لأن الخلية الجسدية عملت عمل الخلية الجنسية وكان محصلة هذه التجربة الإكثار من عدد

الحيوانات المخصبة ، وهذا ما كان موجودا فى النعجة دوللى.

٦ ــ تجربة الاستنساخ تعد أخطر من تجارب الأسلحة النووية فما زالت صفات الحيوانات المستنسخة غير معروفة كما أنه تكمن الخطورة فى الحمض النووى وأى تغيير أو لمسة ولو بسيطة لهذا الحمض يمكن أن تثير الجينات السرطانية داخل كل شخص .

٧ ــ الإسلام لا يقلل من جهود العلماء فى مجال الإستنساخ والعلم النافع فهو يدعو لأن يسير العلم فى تقدم ليخفف من آلام الناس ، والإسلام لا يبخث حق العلماء فى حين أدت بحوثهم إلى معرفة جزء من مكونات الله فى خلقه ويحمد لهم أنهم استطاعوا أن يقرأوا أسطر فى كتاب الله وعرفوا منه ما يتصل بالجينات ولو أنهم سألوا أنفسهم كيف وجد كل هذا بهذه الدقة ...؟ لقالوا سبحان الله .

٨ ــ الاستنساخ يحرمه علماء الإسلام اعتمادا على قاعدة سد الذرائع فما يؤدى للمباح فهو مباح وما يؤدى للحرام فهو حرام وإذا كان هناك أمر سيؤدى فى المستقبل إلى حلال فهو مشروع ، وإذا كان الفعل أو التجربة تؤدى على فعل مفسد فإن الفعل محرم .

ثانيا : توصيات البحث :

نوصى بوضع تنظيم قانون فى استنساخ الحيوان ، كما يجب أن تنظم عملية استنساخ الأعضاء البشرية إذا لم يؤد استنساخها إلى العبث بكرامة الإنسان وإلا كانت حراما .

نوصى بحظر الاستنساخ فى المجال البشرى لأن المخاطر والمفاسد تغلب على الفوائد والمصالح .

تحريم تجارب الاستنساخ لن يمنع من الاستمرار فى محاولة إجراءها على الإنسان ، لذلك فعلينا أن نستعد للمرحلة القادمة لا بالتحريم ولكن بالتقنين ولا ندرى ماذا سيحدث غدا .

أهم المراجع

١ ـ لسان العرب لابن منظور ، طبعة دار المعارف .

٢ ـ معجم ألفاظ القرآن من مجمع اللغة العربية ، مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية .

٣ ـ مختصر تفسير ابن كثير اختصار وتحقيق محمد على الصابونى ، مطابع دار الصابونى للطباعة والنشر .

٤ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردريه البخارى وأبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى فى صحيحهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة إعداد محمد عبد الباقى .

٥ ـ الجامع الصحيح سنن الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورن ٢٠٩ ـ ٢٩٧هـ بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر القاضى الشرعى ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٦ ـ كتاب أخلاق العلماء تأليف أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الأجرى المتوفى سنة ٣٦٠هـ تقديم وتحقيق د/ أحمد عبد الرحيم الشايخ ، طبعة الدار المصرية اللبنانية .

٧ ـ كتاب أطفال الأنابيب نظرة اسلامية ، د. أحمد عبد الرحمن عيسى ، مطابع الأهرام بكورنيش النيل .

٨ ـ كتاب الإعجاز العلمى فى الإسلام ، القرآن الكريم لمحمد كامل عبد الصمد ، طبعة الدار المصرية اللبنانية .

٩ ـ مجلة الإسلام اليوم مجلة تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (أيسيكو) العدد ٥ ، ذو القعدة ١٤٠٧هـ يوليو ١٩٨٧م .

١٠ ـ العزيز شرح الوجيز .

١١ـ مجلة منبر الإسلام تصدرها وزارة الأوقاف المصرية الأعداد ٧٢٣ ، السنة ٥٦ ، طبعة الأهرام التجارية ، قليوب ، العدد ٣ ، ربيع الأول ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ، العدد ٧ ، رجب ١٤١٨هـ ـ نوفمبر ١٩٩٧م .

١٢ـ مجلة العلم مجلة شهرية رئيس التحرير سمير رجب ورئيس مجلس الإدارة دكتورة فينيس كامل جودة ، مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية .

١٣ـ مجلة العربى مجلة ثقافية تصدر شهريا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت ، مطابع الشروق بالقاهرة ، العدد ٤٦٧ ، أكتوبر ١٩٩٧م ـ ٤٦٦ سبتمبر ١٩٩٧م ـ ٤٦٣ يونيه ١٩٩٧م .

١٤ـ مجلة الجمعية الكيميائية العدد ٢٩ يوليو ١٩٩٧م .

١٥ـ مجلة الأزهر الجزء السابع ، السنة السبعون رجب ١٤١٨هـ ـ نوفمبر ١٩٩٧م مجلة شهرية تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية رئيس التحرير د. على أحمد الخطيب ، مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية .

١٦ـ نهاية المحتاج معحواشى الشروانى وابن قاسم العبادى .

١٧ـ جريدة الأخبار ١٩٩٧/٣/٣١ .

فهرست

